8me Année No. 377

Lundi - 23 - 9 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » العــــدد ٣٧٧

الفهـــــرس

القـــــدوة والاصلاح

للأستاذ عباس محمود العقاد

رويت في عدد مضى من « الرسالة » كلمة الفلاح الكبير صاحب الأفدنة الكثيرة في « حمالة الجورب » التي عابها على بعض المعلمين الإلزاميين وقال إنه لم يسمع بها إلا من هؤلاء المعلمين

وقد كتب أديب في « الرسالة » يعقب على تلك الكلمة ، ويرى أنه كان الأجدر بكاتب هذه السطور « ألا يسوق إلينا فكرة صاحب الأفدنة التي ترمى إلى إصلاح المعلم الإلزامي ، لأنه إذا سئل عن العيب الذي يراه لا يجد ما يقوله سوى أنه يعلم النشء التبطل والحذلقة ، وكيفية وضع « حمالة الجورب » ، وإحسان رباط الرقبة ، وهلم جرا ... »

وجاءتني رسائل شتى في هذا الصدد ينظر بعض كاتبيها إلى ملاحظة الوجيه الريفي نظرة الفكاهة والسهولة ، ويشتد بعضهم في الإنحاء عليها كأنها خطر على التعليم

وعندي أن المعلم الإلزامي هو آخر من يحق له أن يكتم أمثال هذه الملاحظات أو يطلب كتمانها ، لأن التعليم الإلزامي في اعتقادي مشتق من اللزوم قبل أن يشتق من الإلزام ، فلا يضيره أن ينكره كبير أو صغير حنقاً على حمالة الجورب أو حمالة الحطب ! ...
ولا يفهم من اختلاف الآراء في برامجه ومواده وأساليبه أن الخلاف

على أصوله وأساسه ، وإنما هو في نهاية الأمر خلاف على الفروع والتفصيلات

هذا سبب من الأسباب التي تأبى على المعلم الإلزامي خاصة أن يكلّم ملاحظة تساق في معرض الرأي أو في معرض الفكاهة عن هذا التعليم

وسبب آخر أن المعلم الإلزامي مطالب قبل غيره باستطلاع « الحالة العقلية » أو الحالات العقلية التي تتصل بمعيشة الفلاح وأبناء الريف ، وهو أحرى أن يستطلع ما يخصه ويخص عمله من تلك الحالات العقلية التي يتصدى لها في تعليمه ، قبل أن يتصدى لتعليم الحروف والأرقام وسائر الدروس

قيل فيما قيل عن التعليم الإلزامي وأشرنا إليه في مقالنا السابق : « أليس الأجدى على الفلاح أن تطعمه وترفه عنه بهذه الأموال التي تنفقها على تعليمه إلزاماً وهو مفتقر إلى الطعام النافع والماء النظيف ؟ »

وكان من رأينا في ذلك أنك إذا أعطيت الفلاح ماء نظيفاً وهو جاهل صدف عنه وعافه وآثر عليه الماء العكر لأنه ماء « دسم » يروى الأصلاب كما يروى التراب

وقلنا « إنك إذا أنشأت فلاحاً سليم الذوق مرهف الحس مفتوح العقل مستجيب السليقة ، فسيجرى وراءك لتعطيه الماء النظيف والغذاء الجيد والأدوية النافعة والنصائح القويمة ، ولا يجشمك كما يجشمك اليوم أن تعدو وراءه لتقصيه عن موارد الماء العكر « بدسمه وخيره » وتدنيه من مساق الماء المرشح وموائد الغذاء المفيد »

***

ومقطع الرأي في كل إصلاح اجتماعي — كما أحسب — أن القدوة فيه خير أنواع التعليم

ولكن ممن تأتى القدوة في الريف ؟

بعض إخواننا المعنيين بالإصلاح يخيل إليهم أن إقامة الوجهاء الريفيين في قراهم وسيلة ناجعة لتعميم القدوة الحسنة في المعيشة ، وتعويد الفلاح الصغير أن يحيا في كوخه حياة الفلاح الكبير في القصور

وهذا حق لو كان الفلاح الكبير قدوة صالحة في جميع الأحوال ، أو لو كان الوجيه في قريته مثلاً يحتذى في نظام المعيشة ومناهج السلوك

لكننا نعلم أن الأمر لا يستقيم على هذا التقدير

ونعلم أن كل فلاح كبير يصلح للقدوة ويتخذ مثالاً حسناً للسلوك فإلى جانبه عشرة يضلون من يقتدى بهم ويأبون أن يتمثل بهم المتمثلون من الفقراء والضعفاء فيما هو من مظاهر « الوجاهة » واليسار

قال لي أحد هؤلاء الوجهاء مرة : لقد فسد الزمان وتغير الناس!

قلت : ولم ؟

قال : إنك لا تعرف الآن ابن فلان المعظم من ابن فلان الصعلوك ، ولا تميز الفتاة التي يملك أبوها ألف فدان من الفتاة التي يعمل أبوها في دكان أو يعمل في ديوان بين صغار الموظفين الوقوتين ... هذه تلبس كما تلبس تلك ، وهذا يتأنق كما يتأنق ذاك ، و « البركة » في التقسيط لا بارك الله فيه

قلت : وما يضيرك من ذاك ؟ إن كان فيه ضرر فعلى جيب اللابس لا على جيبك ، وإن لم يكن فيه ضرر فهو جمال ونظافة ورواج للقصارين والخائطين

فتأفف وأبى أن يقتنع ، وظل يقول : إن الأصول أصول ، والمقامات « محفوظة » لا ينبغي أن تزول أو تحول

وسمعنا آخرين من الوجهاء لا يبالون أن يجهروا في غير خجل ولا حرج قائلين : من يخدمنا إذا لبس الفلاح الطربوش أو اغتر بما حصّل في المدرسة الإلزامية من دروس الكتابة والحساب ؟ وإذا خدمنا هذا « الأفندى » الجديد فكم يطلب أجراً على الخدمة التي كان يؤديها وهو حاف قانع باللبدة والجلباب الأزرق راض بالخبز القفار

هؤلاء الأغبياء لا يعقلون ما ينفعهم وما يضرهم ولا يدرون عاقبة هذا التفكير الأثيم

والأنكا من هذا أن الفلاح الفقير قد يحجم عن الاقتداء بنظافة الأغنياء إذا كانوا من النظفاء ، كما يحجم عن شراء السيارة والاستمتاع بالطعام الفاخر واللباس الأنيق

فتمتنع القدوة من ثم لاعتقاد الغنى والفقير معاً أن النظافة والمعيشة الصالحة حق لصاحب المال كحقه في ركوب السيارة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبـــارك

شاعر ينبغ فوق سرير المرض — الملك الشبل — وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها — لا خوف من المستقبل مع صحة العزائم والقلوب

شاعر ينبغ فوق سرير المرض

مضت سبعة أعوام والأستاذ صالح جودت يحقد علىّ أبشع الحقد لسكوتى عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وما هدأ نار الحقد فى صدره إلا عرفانه بأنى لا أخصه بذلك السكوت وإنما هو مبدأ ارتضيته ودَرَجْتُ عليه ، وذلك المبدأ هو الضنُّ المطلَق بتشجيع الناشئين ، لأنى أعتقد أن كل شىء يجوز فيه التشجيع إلا الأدب والبيان ، فالتشجيع هنا مَفْسدة ولا يقع إلا من « الجماعة » الذين يحتاجون إلى أسندة من الهتاف والتصفيق ، والتحدث عنهم بحق وبغير حق فى الأندية والقهوات والجرائد والمجلات .

وهذا المبدأ هو الذى فرض على جمهور من شباب هذا الجيل أن ينفضُّوا من حولى ، فلا يهمهم أن يذكرونى بالجميل فى مجلة أو جريدة ، لأنهم لا يذكرون أنى طوقت أعناقهم بشىء من التشجيع ، وأنا غير آسف على ما فاتنى من ذلك الحظ الجزيل !

ولو أنى استبحت التفريط فى الحرص على هـذا المبدأ مرة واحدة لاستبحته فى معاملة الأستاذ صالح جودت ، وهو صديقٌ لا أذكر أنه قصَّر فى حفظ العهد إلا باتهامى بالسكوت عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وهو اتهام مردود ، لأنى لا أذكر أن أشعاره نقلتْ قلبى من مكان إلى مكان حتى أُجشّم نفسى مشقة الدرس لشعره البليغ !

كان صالح جودت يتقاضانى الكلام عن شعره فى كل لقاء ، وكنت أجيب بأن ذلك سيكون يوم يظفر بدرجة من درجات الجامعة المصرية ، لأنى أخشى إن شجعته أن ينصرف عن الدرس وينقطع لقرض الشعر ومراسلة الجرائد والمجلات . فلما سمع صالح نصيحتى وظفر بالدرجة المنشودة جاء يذكّرنى بما كنت وعدتُ ، فهل وفيت بما وعدت ؟

حملنى الزهد فى اجتلاب المودّات على وصل السكوت بالسكوت ، كما كنت صنعت فى معاملة صاحب « الجندول » ثم شاءت الأيام أن أسمع أن صالحاً وَقَذه المرض فلم يَمُد بهجة الأندية الأدبية ، ولم يبق رجاء فى التحدث إليه إلا بعد استئذان الطبيب

فإن كنتم سمعتم أن الشعراء وصفوا الدنيا بالخيانة والغدر

الخاصة والإيواء إلى الدار القوراء .

وتقول له كن نظيفاً كفلان بك أو فلان باشا فيستكبر هـذا الكلام منك ويقول لك فى جد الواثق من صوابه وسداد رأيه : وأين أنا من هذا وذاك ؟ ولو استرسل قليلاً لزعم أن النظافة منه افتيات على حقوق الموسرين وخروج على الأدب الحميد ! . . .

* * *

نعود إذن فنسأل : ممن تأتى القدوة الصالحة إذا علمنا كما أسلفنا أن القدوة « الشخصية » خير وسائل التعليم فى الإصلاح الاجتماعى ؟

تأتى من بعض الأغنياء الرحماء العارفين حين يقيمون فى الريف إقامة يتصل فيها العطف والود الكريم بينهم وبين الفقراء

وكم عدد هؤلاء الأغنياء الرحماء العارفين ! ؟

قليل ولا ريب ، والرجاء فى ارتقاء معيشة الفلاح الصغير أقرب من الرجاء فى زيادة هؤلاء

فأفضل القدوة وأنفعها على هذا ما جاء من قبـل المتعلمين الذين يشبهون الفلاح فى نشأته فيعمد إلى التشبه بهم غير متحرج ولا معتقد فى نفسه أنه يعدو طوره ويخرج من أفقه

وهنا يأتى دور المعلم الإلزامى فى الإصلاح ، فيجمع بين الإصلاح بالتعليم والإصلاح بالقدوة السائغة فى رأى الفلاح ، ويروح فى القرية وهو معلم الأبناء والآباء على السواء

كن أيها المعلم الإلزامى قدوة لمن حولك ، وكن على حال ينظر إليها الفلاح فيحب أن يتشبه بها ويرى بعينه دلائل الخير فى محاكاتها ، ثم يأنس إلى نصحك بعد ما أنس إلى عملك ، فيسمع منك القول ويحمد منك العمل . فأنت بما تهديه وتلقى فى روعه مصلح جيـل لا تفلح فى إصلاحه المدرسة وحدها ، ولا الـكلام الذى يجرى به اللسان أو تنطوى عليه الأوراق .

عباس محمود العقاد

والعقوق فاعرفوا أن ذلك الوصف لم يحقّ على الدنيا إلا لبغيها الأثيم على مثل هذا الشاعر، وله قلبٌ أطيب وأطهر من قطرات الندى فوق أزهار الربيع

ومرّت ثوانٍ ودقائق وساعات وأيامٌ وليالٍ وأسابيع وأشهر ولم يخرج صالح من سجن المرض، فما أطول شقائي بمحنتك القاسية، أيها الصديق العزيز!

وعلى حين غفلة أسمع أن الفتى الذي لم يُرضني شعره قد نبغ فجأة فوق سرير المرض، فهو الذي يقول في تصوير ما بقيَ من أوطار هواه في دنياه:

فليرحم الله آمالي وأهوائي ... إني قنعت بهذا المخدع النائي
بقية العمر أيامٌ تدبّ على ... صدرٍ تهدّم إلا بعض أشلاء
أعيشها ناسكاً في ركن صومعةٍ ... قامت على صخرةٍ كالموت صمّاء
يبدو خيال الأماني لي فأطرده ... حتى كأن الأماني بعض أعدائي

ثم يصف عُزلة المستشفى وأحوال ساكنيه فيقول:

أوّاه من عُزلة كالسجن مغلقةٍ ... على جراحٍ وآلام وأرزاء
ما هذه الجثث الملقاة في سُرُرٍ ... أنصاف موتى على أنصاف أحياء
صُفر الوجوه كأن السقم عفّرهم ... بحفنةٍ من تراب القبر صفراء
للآه فيهم تراتيلٌ منغّمةٌ ... تنسابُ من قَصَباتٍ نصف خرساء
وما لهم من نهارٍ فيه مرحمةٌ ... ولا لهم ليلةٌ ليست بليلاء

ثم يتلفت إلى الممرضة الحسناء — ومن تقاليد المستشفيات أن تكون الممرضات صِباح الوجوه إلى حدّ الفتون ليغرسن بذور الأمل والحياة في صدور المكروبين — يتلفت إلى الممرضة فيقول:

مَن يا ممرّضتي الحسناء قدّر لي ... أن ألتقيك بأرضٍ غير حسناء
ماذا أتى بي هنا؟ ما خَطْبُ عافيتي؟ ... وكيف غال شبابي غائل الداء
قد كان لي موعدٌ في الصيف مرتقبٌ ... على الشواطئ بين «الرمل» والماء
فما لذا الصيف يمضي بي على جبلٍ ... جَهنّميّ اللظى في جوف صحراء
وأنتِ ... هل عطفك المبقِي على رمقي ... عطف المحبين أم عطف الأطباء
إن كان ذاك فيا سعدي ويا فرحي ... أو كان هذا فإني في الأذلاء
الحبّ يشهد أني يا ممرّضتي ... ما صدّني عنك إلا فرط إعيائي

أما بعد فهذه الشاعرية ليست صحوة الموت، يا صالح، وإنما هي الفجر الصادق، وسترجع إلينا بعد أيام وأنت في غاية من عافية البدن والروح

لم أسأل عنك في علتك، يا صالح، لأني شغلت بك عنك، ولو سألت قلبك لشهد بأن عطفي عليك وأنا بعيد كان أرفق من عطف طبيبك وهو قريب، وأصدق الحديث حديث القلوب

سترجع إلينا يا صالح، بعد أيام، وسنعيد سهراتنا في أندية القاهرة، وسأسمع لجاجتك في العتاب، وسأقول إن البلبل لا يجيد السجع إلا وهو سجين، لأني عرفتُ شاعراً لم يُجد الشعر إلا وهو عليل

الملك الشبل

لم أسمع أن جلالة الملك فيصل الثاني يوصف إلا بعبارة «الملك الطفل» وهي عبارة جافية، فأرجو من الشعراء والكتاب أن يصفوه بعبارة «الملك الشبل» فهي بمقامه أنسب وأليق

وأذكر بهذه المناسبة أن صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا تلطف فدعاني إلى مكتبه ليقدم إليّ «وسام الرافدين» المهدى إليّ من حكومة العراق

وقد وثب قلبي من الفرح والانشراح لقيمة الهدية ولقيمة من أتلقى من يده الهدية، فليس من الميسور في كل وقت أن تكون وزارة المعارف إلى أديب في مثل منزلة الدكتور هيكل باشا، الرجل الذي أفنى شبابه وعافيته في خدمة الدراسات الأدبية والتاريخية، والذي يُمدّ قلبه مثالاً في الطيبة والصفاء

وقد نظرت في الوسام فرأيته متوّجاً بكلمة «فيصل الأول» فأهلاً وسهلاً ومرحباً بوسام يُحلّى باسم ملك هو الفيصل بين عهدين من عهود العراق: عهد العجمة وعهد الإفصاح، فقد كان فيصل الأول بمذاهبه ومسالكه هو التعبير الصحيح لعواطف العراق في التشوف إلى رجعة المجد العربي في أيام المنصور والرشيد

ومع أن مكاره الأيام ومتاعب النضال لم تُبق في صدري بقية من التأهب للجذل والانشراح فقد سرني أن تشهد جريدة «الوقائع العراقية» بأني ذُكرتُ بالخير في «إرادة ملكية»

يُعنيها صاحب السموّ الأمير عبد الإله ومعالي السيد صادق البصام وفخامة السيد رشيد عالي الكيلاني ، جعلنا الله ممن يرعون العهد ويحفظون الجميل

وإذا حييتم بتحية . . .

تفضل الزميل الكريم الأستاذ أبو بكر إبراهيم المفتش بوزارة المعارف فأعدّ كلمة لمجلة الرسالة في ردّ التحية الجميلة التي وجّهتها جريدة الهدف البغدادية إلى مصر بإصدار عدد خاص عن أديب مصري كان له نصيب في خدمة الحياة الأدبية في العراق

ولم يكن بدٌّ من تلطف هذا الزميل الكريم بردّ هذه التحية الكريمة ، فليس في مقدوري أن أردّ تحية جريدة الهدف ، فذلك امتحانٌ لا أتقدم إليه وأنا طائع ، لأني أشعر بالعجز عن وفاء هذا الدَّين النفيس

في ذلك العدد الخاص تحدث الأساتذة عبد الحميد حسن الغزالي ، وحميد مجيد الهلالي ، وعبد المجيد لطفي ، وعبد المحسن القصاب ، وعبد السلام حلمي ، وعبد الله محمد الطائي ، وعبد الرحمن البناء ، وروبين عوبديا ، وصالح البدري ، وعبد الرزاق الهلالي . تحدث هؤلاء الأماجد عن صديق العراق زكي مبارك حديثاً هو البرهان الساطع على أن الوداد لا يضيع عند أحرار الرجال

وقد فكرت كثيراً في الأسباب التي جعلت لي هذا الحظ المرموق في العراق ؛ ثم رأيت أن الأسباب كلها تنتهي إلى سبب واحد : هو الصدق . فما تحدثت عن العراق بالجميل إلا وأنا صادق ولا ذكرته بالملام إلا وأنا صادق

وكيف لا أصدُق في حب وطنٍ كاد ينسيني وطني ؟

ولو عبّرتُ عن نفسي تعبيراً صحيحاً لقلتُ إني لم أستطع أن أتوهم أن مصر والعراق وطنان مختلفان ، وما صح عندي أبداً أني كنت غريب الدار في بغداد . . . وكما كان الشريف الرضي يهدد خصومه في العراق بأن له في مصر أصدقاء يستنجد بهم حين يشاء ، فأنا أشعر بأن لي في العراق أصدقاء أستنصر بهم حين أشاء ، والله سبحانه هو المَفزَع لأعزاز القلوب

وفي اللحظة التي أكتب فيها هذه الكلمة يستعدّ فريق من الأساتذة المصريين للتوجه لخدمة العلم والأدب في العراق ، فأرجو أن يذكروا جميعاً هذه الكلمة الصادقة :

« كما تكون للعراقيين يكونون لك »

فمن أراد أن يظفر بحب أهل العراق فليصدُق في حب أهل العراق ، وليعرف جيداً أن الملاينة قليلة الأهمية ، فالمعوَّل عليه هو صدق القلوب ، فقد كنتُ على جانب من جفاء الطبع حين كنت هناك فما ضرني ذلك بشيء لأن قلبي كان مأهول الجوانب بالصدق في حب أولئك الرجال الصادقين في الحب والبغض ، وهم برغم قالة الحجاج أبعد الناس عن الرياء

ما أذكر أني كلفت نفسي ما لا تطيق في التودد إلى العراقيين وإنما أرسلت نفسي على سجيتها ، وعشتُ في بغداد كما كنت أعيش في القاهرة وفي باريس ، وكنت أصادق وأعادي كما أصادق في بلدي وأعادي ، فكانت العاقبة ما عرف إخواني في مصر من تواتر العطف عليّ من جميع أهل العراق . والصدق في النصح يستوجب النص على الحقيقة الآتية :

لم أفكر وأنا في العراق إلا في شيء واحد : هو أن أؤدي واجبي تأدية صحيحة لا يؤخذ عليها تقصير أو تفريط ، وكنت أشعر في كل لحظة أني مسئول أمام حكومتين : حكومة القاهرة وحكومة بغداد ، وأن التهاون في تأدية الواجب يضيِّع على مصر مزية عظيمة ، هي الثقة بكفاية أبنائها وقدرتهم على النهوض بما يُنتدَبون له من خدمة العلم والأدب في البلاد العربية

ويجب أن أسجل أن إخواني العراقيين قد أعانوني على تحقيق هذا الغرض الشريف ، فهم الذين خلطوني بأنفسهم ، ودعوني إلى الاشتراك في أنديتهم الأدبية والعلمية ، وحضوني على المشاركة في توجيه الرأي العام بالمقالات والمحاضرات ، حتى استطعت في أشهر معدودات أن أدوّن ألوفاً من الصفحات لم يظهر منها غير ستة مجلدات

وأعترف بأني كنت أشعر بالغيرة تحزّ في صدري من أربعة رجال سبقوني إلى كسب ثقة أهل العراق ، وهم الأساتذة : محمد عبد العزيز سعيد وأحمد حسن الزيات وعبد الرزاق السنهوري وعبد الوهاب عزام ، فكان من همي أن أزاحم أولئك الرجال مزاحمة جدية تجعل لي مَقام صدق في بلاد الرافدَين ، وقد وصلت بحُسن النية ورعاية الله إلى تحقيق ما أردت بلا مشقة ولا عناء

وأواجه الأمر بصراحة فأقول : إننا لم نصنع شيئاً يزيد على وضع الأساس للمودّة الصحيحة بين مصر والعراق ، فلست أنتظر من الأساتذة الذين يخلفوننا هنالك أن يحفظوا ما صنعناه ؛

فذلك مَطلبٌ سهل المنال ، وإنما أرجو أن يمضوا فى رفع قواعد البناء بحيث لا تمرّ أعوام طوال قبل أن يصبح من القضايا المقررة أن لفظة الغربة لم يبق لها مدلول فى ذهن عراقى يعيش فى مصر ، أو فى ذهن مصرى يعيش فى العراق

ولكن ما جزاء من ينتفع بهذا النصح ؟ جزاؤه هو الشعور بأنه رجلٌ نافع ، والاطمئنان إلى أنه على جانب من قوة الأخلاق ، فليس من القليل أن يستطيع الرجل كسب الثقة بوطنه فى بلد مثل الحجاز أو فلسطين أو سورية أو لبنان ، والثقة لا تنال فى أمثال هذه البلاد إلا بالصدق فى الوطنية والصدق فى الجهاد

وقد اتفق لى فى بعض الأحايين أن أناوش فريقاً من السوريين واللبنانيين فما ضرنى ذلك بشىء ، لأن من ناوشتهم يعرفون فى ضمائر قلوبهم أنى سليم القلب ، وأنى لا أريد إلا جذبهم إلى الانضمام إلى القافلة العربية بلا تلفُّت إلى دسائس من يهمهم تقسيم الأقطار العربية إلى دُوَيْلات يذوق بعضها بأس بعض بلا موجب معقول

ومن حُسن الحظ أن تكون البلاد الشامية فى طريق من يسافر من العراق إلى مصر ، أو من مصر إلى العراق ، فتلك فرصة ذهبية لتوكيد المودة بين الأقطار العربية ، وبها نستطيع وَأْد الدسائس التى تحاك فى أحلاك الليالى لتمزيق شمل العرب والمسلمين .

وقد شاءت الظروف أن نرى اليمن والمغرب من البلاد البعيدة لقلة رغبتنا فى الهجرة والارتحال ، فمتى يجىء اليوم الذى تقهرنا فيه المبادئ على التضحية بالأنفس والأموال فى سبيل التعرف إلى الأقطار العربية ؟

المصرىّ لا ينتقل من وطنه إلا وهو موظف مطمئن إلى أنه سيجد وظيفته حين يرجع ، فمتى يُخلَق المصرى المجاهد الذى يستهين بجميع المنافع فى سبيل المبدأ والعقيدة والرأى ؟

كنت أتمنى أن أكون ذلك المصرى المنشود ، ولكن ماذا أصنع وحولى « أكباد تمشى على الأرض » وليس فى شريعة الوطنية أو الدين ما يسمح بهجر تلك الأكباد ؟

أنا مقيد بقيود من حرير هى أقسى وأعنف من قيود الحديد ، فإن تلطَّف الله وتَقبل أن يكون الجهاد بالقلم مما تنتصب له الموازين فلن يكون ذلك أول نعمة يُسديها رجل لم يُشرِّق أو يغرِّب إلا وهو متوكل عليه توكل الواثق بأن الأمر كله إليه وأن له حكمة عالية تجعل الشر على بشاعته لوناً من الخير المستطاب

لا خوف من المستقبل مع صحة العزائم والقلوب

لم يبق ريب فى أن الشرق مقبل على قافلة تاريخية بسبب عدوان أهل الغرب بعضهم على بعض . وقد شاءت المقادير أن يتأثر الشرق بمصير الغرب لأسباب لا تخفى على اللبيب ، وربما جاز القول بأن العالم كله قد رُبط برباط وثيق يفرض على من فى أقاصى بحر الهند أن يتأثر بما يقع لمن فى أقاصى بحر الشمال ، فليس من المستغرَب أن يرتجّ الشرق للمجازر التى تقع بين الإنجليز والألمان

فما واجبنا نحن إزاء هذه الظروف ؟ واجبنا أن نذكر أن مبادئنا فى تحرير الشرق لن ينالها تعديل ولا تبديل . واجبنا أن نذكر أن جهادنا فى سبيل الحرية جهادٌ قديم ، وأننا تسلمنا راية الكفاح من الآباء والأجداد . واجبنا أن نذكر أن الغرب الذى صنع ما صنع لم يفلح فيما تطاول إليه من وَأْد اللغة العربية والعقيدة الإسلامية

واجبنا ، واجبنا ، واجبنا

ذلك الواجب لا يحتاج إلى تعريف جديد، فهو مسطور الملامح فى كل قلب، وله جذور فى كل نفس، وله سلطان على كل ضمير، ولا خوف من غياهب المستقبل إذا صحت العزائم والقلوب

فليُقلقل التاريخ كيف شاءت الظروف ، وليكن ما يكون بين الإنجليز والألمان ، فنحنُ نحن ، والعاقبة للصابرين فى ميدان الجهاد . وسيعلم المتعدُّون على الشرق كيف تنهزم قوتهم المادية أمام قوته الروحية فى أمد أقرب مما يظنون

زكى مبارك

مجموعات الرسالة

٢ – أخلاق القرآن

العدل

للدكتور عبد الوهاب عزام

بينت قبلاً أن القرآن يريد بتعليمه الأخلاق تحرير الإنسان من أهوائه وشهواته، وتزويد عقله بالمعرفة، ودفعه إلى العمل في معترك الحياة لخيره وخير الناس؛ ووعدت أن أتحدث عن أمهات الأخلاق في القرآن؛ فاليوم أبدأ الحديث بالعدل:

العدل القرآني هو العدل المطلق الشامل الذي لا يختلف بين زمان وزمان، ومكان ومكان، وأمة وأمة؛ والذي تستوى فيه نفس الإنسان وغيره، ويستوى فيه القريب والبعيد، والصديق والعدو، ويستوى فيه الرضا والغضب، والحب والبغض، والنفع والضرر. هو أن يعطى الإنسان كل ذى حق حقه في كل حين وفي كل أرض، وعلى كل حال. يقضى على نفسه بالحق ويقضى لغيره بالحق، ويعطى من يكره بالحق، ويحرم من يحب بالحق، ويعمل العمل فيه ضره إيثاراً للعدل، ويكف عن العمل فيه نفعه إيثاراً للعدل. هو أن يعترف بإحسان غيره ولا يبخس الناس أشياءهم، ويعترف بإساءته، ولا يحب أن يحمد بما لم يفعل وأن ينقاد لرأى غيره حين يتبين له أنه الحق، ويسرع الرجوع عن رأيه حين يعرف فيه الباطل

العدل القرآني أن يصرّف الإنسان أمور نفسه وأمور الناس على قانون لا عوج فيه ولا زيغ ولا استثناء ولا ظلم ولا محاباة، أن يسيّر أعماله على قانون إلهى لا تبديل فيه ولا تحويل، كالقوانين التي تسيّر: الشمس والقمر والنجوم والرياح، وتصرّف العالم كله كما يشاء الله

يقول القرآن الكريم: «والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان، والأرض وضعها للأنام»، أليس في هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن العدل الذي يأمر الله به هو قانون من قوانين الله بثّه في خليقته. فهو قد رفع السماء ووضع الميزان في خليقته، كل شيء مقدّر بقدره، وكل شيء محدود بحدوده، كما قال في آية أخرى: «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون». وكذلك أمر الله الناس أن تكون أعمالهم في هذه الأرض على هذه الشاكلة لتستقيم أمورهم وتعتدل معايشهم؛ فليس عدل الله أمراً يسيراً تتصرف فيه الأهواء، وتتلاعب به الشهوات والعصبيات. ليس عدل الله أمراً مما يباع باليسير من متاع الحياة الدنيا، ويهجر للحقير من أهواء النفوس، ولكنه نظام في العالم وفي الاجتماع البشرى لا يستقيم شيء فيهما بدونه كما جاء في الحديث الشريف: بالعدل قامت السموات والأرض.

وآية أخرى من القرآن تجعل العدل أول صفات الله التي يقوم بها على خلقه: «شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم، قائماً بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم». فقد شهد الله وشهد أولو العلم من عباده أنه تفرد بالألوهية قائماً بالعدل في خلقه

وآية أخرى تبين أن الله أوحى للناس علمه وشرائعه مع العدل، ليقوموا بالعدل في معايشهم وهو الغاية التي من أجلها أنزلت الشرائع. استمع هذه الآية الكريمة:

«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»

وأخرى من الآيات تبين أن أوامر الله وأحكامه قائمة بالصدق والعدل لا تتحول عنهما: «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته»

بيّن القرآن أن الله جعل العدل نظاماً للعالم، وقياماً للخلق، وأمر به في كثير من آياته، وحث المؤمنين على أن يكون ديدنهم القيام بالعدل بين الناس، والشهادة لله على الناس بالعدل، وأن ينزهوا العدل عن الهوى فلا يميلهم عنه حب ولا كره. قال في سورة النساء: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا. وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً.» وقال في سورة المائدة: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى

واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »

أمر في الآية الأولى أن يقوموا بالعدل ويشهدوا به لله . ولا يميلوا عنه لمحبة النفس أو الوالدين أو الأقربين . وأمر في الآية الأخرى ألا يميلوا عن العدل مع من يبغضونهم فقال « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » يعني لا يحملكم بغض قوم على أن تعاملوهم بغير العدل

وقال في سورة الأنعام :

« وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون »

والآيات التي تأمر بالعدل كثيرة حسبنا منها الآية الجامعة :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون »

ويشتد القرآن في النهي عن الظلم كما يشتد في الأمر بالعدل ويبين عاقبة الظلم في الأمم بأساليب شتى ؛ والظلم في لغة القرآن وضع الأمر في غير موضعه أو الخروج عن الحق . فالمجرم ظالم ، والكافر ظالم ، والمشرك ظالم ، والكاذب ظالم . يقول : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته » . ويقول : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » . ويحكي القرآن عن آدم وحواء حين تابا : « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . وما هذا الظلم إلا مخالفتهما ما أمرا به

وعاقبة الظلم هلاك ودمار للفرد والجماعة والأمة . قلّ أن يذكر القرآن هلاك أمة أو بلد إلا بيّن أنها أهلكت بظلمها . يقول في سورة الأنبياء : « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين » . وفي سورة الحج : « فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها ، وبئر معطلة وقصر مشيد » . « وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير » . وفي سورة هود : « تلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد . وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد »

هذا العدل المطلق الذي بينه القرآن وأمر به يقتضي الجزاء الحتم . فكل إنسان مجزيّ بعمله خيراً أو شراً . العدل يقتضي أن يميّز الخير من الشر والمحسن من المسيء . يقول القرآن : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة(1) » ويقول : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون(2) » « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون(3) » بل يقرن القرآن الجزاء بخلق السموات والأرض « وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون(4) »

فالجزاء حتم على كل صغيرة وكبيرة وليس للانسان إلا عمله، ليس في الناس مقربون إلى الله ولا مبعدون عنه إلا بالعمل يقول : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى(5) » ويقول في الرد على من زعموا أن لهم مكانة عند الله تخرجهم من هذا القانون العام قانون الجزاء : « ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ؛ من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً(6) » . « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره(7) »

ومن هذا العدل المطلق والجزاء الحتم أباح القرآن أن يقابل الشر بمثله من غير بغي . قال : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وقال : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » ويقول : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله » وفي سورة الشورى يوضح هذا أتم إيضاح . يقول في مدح المؤمنين : « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك

(1) سورة فصلت (2) نون (3) الجاثية (4) الجاثية
(5) النجم (6) النساء (7) الزلزال

لهم عذاب أليم » . فمن حق الإنسان أن يردّ البغي عن نفسه في غير عدوان ، وأن يلقى السيئة بمثلها وينتصر ممن ظلمه ، وله أن يعفو ويصفح إن رأى في العفو خيراً .

***

ذلكم العدل الذي بثه الله في خليقته ، وأمر به عباده ، وجعل فيه صلاحهم ، وفي تركه دمارهم . فمن شاء الخير لنفسه وللناس فليلزم العدل في كل صغيرة وكبيرة ، وليكن كما أمر القرآن قائماً بالقسط شهيداً لله

إن الأمم تتهافت في النار ، وتعود على ما شيّدت بالخراب والدمار ، بما فقدت العدل وكفرت به ، واتخذت لأنفسها شريعة من الباطل والزور والبغي . يريد المغترون بقواهم أن يسيطروا على الأرض بالباطل ، زاعمين أنهم يسيطرون عليها بالحق ، لا يرون لغيرهم حقاً ، ولا لأطماعهم حداً ، ولو أنصف الناس فقاموا في خلق الله بالقسط ، وجعلوا الحق شريعة بين الناس ، ونبذوا العصبية للباطل ، ورفعوا عن أعينهم غشاوة الهوى ما سُخرت عقولهم وعلومهم وصناعاتهم للإهلاك والتدمير ، ولما قذفوا بأنفسهم في جهنم وهم يستطيعون أن يعيشوا في جنة على هذه الأرض

داء الأمم الظلم ودواؤها العدل — العدل الشامل المطلق الذي لا يختلف باختلاف الأزمان والأوطان والشعوب والأديان . إنما يأخذ الله الأمم بجرائرها عسى أن تتوب إلى رشدها وتتبين الطريقة المثلى التي حادت عنها ، وإن في ذلك لعبرة

ويقول القرآن الكريم :

« ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون » ... صدق الله العظيم

عبد الوهاب عزام

العلاقة بين الجسم والذكاء

الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

يقول المثل السائر : « العقل السليم فى الجسم السليم » . والأمثال تقبل عادة من غير محاولة إثبات . ولكن إلى أى حد يطرد هذا المثل ؟ إن الملاحظة تؤيد أن من بين أصحاء الأجسام كثيراً من الأغبياء وضعاف العقول ، كما أن من بين ذوى العاهات والمرضى عدداً من العبقريين . وقد عرفت فى انجلترا مصرياً كان قد أقعده المرض منذ سنوات طويلة ، فعطل من وظائف رجليه ويديه وظهره وأسنانه ، ومع هذا كان نشط العقل ، يفكر وينتج . كان يُقرأ له فى الفراش ، وكان يؤلف ويملى ، ويقرض الشعر العربى والإنجليزى ، ويملى مقالاته باللغتين . وكان لبق المنطق ، حاضر الفكرة . وقد لا يكون من الصعب أن نعثر على آخرين أمثال صاحبنا هذا ، ولكن الملاحظة العرضية لا تكفى لتحقيق القضايا العلمية . وسأعرض فى هذا المقال نتيجة أبحاث العلماء فى العلاقة بين الذكاء والجسم

شغل العلماء من القرن الثامن عشر بمعرفة ما إذا كان من الممكن الحكم على صفات الفرد العقلية من صفاته الجسمية . وقد ظهرت عدة نظريات كانت كلها محاولات لكشف العلاقة بين العقل والجسم . وقد تناولت بحوث العلماء فى هذا الصدد الموضوعات الآتية :

١ — شكل الجمجمة وحجمها ، وملامح الوجه ، وعلاقة كل هذا بالعقل

٢ — قدرة الرئة على التنفس وعلاقة هذه القدرة بالذكاء .

٣ — دقة تمييز الحواس المختلفة ، ومقدار سرعة إدراكها وعلاقة ذلك بالذكاء

٤ — زمن الرجع (أو رد الفعل) للمؤثرات الحسية الخارجية

٥ — الإفرازات التى تخرج من الغدد الصماء وأثرها فى الوظائف العقلية

٦ — العلل الجسمية وأثرها فى الإنتاج العقلى والذكاء

— ١ —

كتب لافاتير السويسرى كتاباً عن « الفراسة(١) الوجهية » فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، قال فيه بإمكان الحكم على ذكاء الفرد من تقاطيع وجهه ، وشكل الجبهة والأنف وحجم الفك . ومع أن هذه النظرية لاقت أنصاراً حين ظهور الكتاب ، ولا يزال لها فى العصر الحاضر مؤيدون من عامة القراء ؛ فمن المؤكد علمياً أنها نظرية باطلة ، لأن مقاييس الذكاء الحديثة المعتمدة لم تثبت وجود علاقة بين تقاطيع الوجه والذكاء ، إلا عند البله والمعتوهين

وفى سنة ١٨١٠ ظهرت رسالة لعالمين فرنسيين هما جال Gall واسبورتزهيم Spurzheim تشرح نظرية القيافة الجمجمية Phrénologie ، وتشير إلى وجود عدد من الملكات العقلية المختلفة كملكة الإدراك ، وملكة الحفظ ، وملكة التذكر ، وملكة العزم الخ ، وحصرها فى ست وعشرين . ولكل ملكة من هذه الملكات مركز خاص فى الدماغ . ويقابل كل مركز من هذه المراكز الدماغية مساحة خاصة فى الجمجمة . وكل نمو فى مراكز هذه الملكات يقابله نمو فى مساحتها الجمجمية . أى أنه من الممكن معرفة قوى هذه الملكات العقلية بقياس بروز مساحتها الجمجمية . ولم تعمر هذه النظرية طويلاً

وفى أواخر القرن الماضى ظهرت فى إيطاليا مدرسة تقول بوجود تلازم إيجابى مطرد بين الصفات الجسمية التشريحية anatomical وبين ذكاء الفرد وخُلقه ، وزعيم هذه المدرسة هو البروفسور سيزارى لمبروزو Cesare Lombroso ، الإخصائى فى علم الإجرام . وتتلخص نظريته فى أنه من الممكن معرفة ضعاف العقول ، والبلهاء ، وذوى الميول الإجرامية من خلق الرأس وحجمه وتركيبه . فعدم انتظام شكل الجمجمة ، وبروز الجبهة ، وضيقها ، وانخفاضها ، وانفطاح الأنف وعرضه ، وضيق قوس الحنك وارتفاعه ، وعرض الأذنين وكبرهما ، وعدم انتظام شكلهما ؛ كل هذه دلائل على ضعف عقل الفرد . وكان ممن عنوا بكشف العلاقة بين حجم الرأس والعقل جولتن فى انجلترا وبينيه فى فرنسا ، وقد دلت تجاربهما على أن التلازم الإيجابى بين حجم الرأس وذكاء الفرد من القلة بحيث لا يعتمد عليه فى معرفة الذكاء

كان لنظرية لمبروزو صدى شديد فى المعاهد التى عنيت بدراسة الإجرام وصفات المجرمين ؛ ففى سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١

(١) G. Lavater's Essay on Physiognomy, 1772

أجريت تجارب فى السجون الإنجليزية لقياس جاجم المسجونين وبروز جباههم ، وأنوفهم ، وآذانهم الخ . ثم قورنت نتائج هذه المقاييس التى اتبعت فيها طريقة لمبروزو بسجلات المسجونين ، ونتائج اختبار ذكائهم ، فانهارت بهذه التجارب نظرية لمبروزو ، وامحت من بين النظريات العلمية . وكانت هذه آخر المحاولات التى قصد بها إثبات تلازم بين شكل الجمجمة وحجمها وتقاطيع الوجه وبين الذكاء . وفى هذا يقول الأستاذ « كارل بيرسن » بعد أن أجرى اختبارات على ستة آلاف تلميذ مدرسى وطالب جامعى : « إن التلازم الإيجابى بين مقاييس الجمجمة وبين الذكاء من القلة بحيث لا يعتمد عليه فى الحكم على ذكاء الفرد »

— ٢ —

وموضوع العلاقة بين القدرة على الشهيق وبين الذكاء قد يظهر غريباً . ولكن أحد الأطباء بمانشستر Dr. Mumford الدكتور (مامفورد) عنى بهذا الموضوع ، فأجرى اختبارات على تلاميذ مدرسة ثانوية Grammer School وعلى طلبة الجامعة ووجد تلازماً إيجابياً مطرداً بين القدرة على الشهيق العميق واتساع الرئتين ، وبين ترتيب التلاميذ فى الفصول . فالتلاميذ المتقدمون أقدر على الشهيق العميق والتنفس القوى من التلاميذ المتأخرين[1] . وقد لاحظ الدكتور أيضاً من نتائج الاختبارات أن هذا التلازم الإيجابى يضعف كلما كبر التلاميذ فى السن . وقد أيدت نتائج هـذه الاختبارات اختبارات شبيهة بها أجريت فى كاليفورنيا بواسطة الأستاذ ترمان[2] .

— ٣ —

أما دقة التمييز الحسى ، وإدراك الفروق الحسية — لمسية أو ذوقية أو شمية أو سمعية أو بصرية — وعلاقة ذلك بالذكاء فيرجعان إلى نظرية البروفسور فنت Wundt الألمانى ، التى كانت تشير إلى أن الحواس هى منافذ العقل ، والمدركات الحسية هى التى يتألف منها العقل[3] . ومن الممكن إذاً قياس الذكاء بقياس قدرة الحواس ، وقوتها على تمييز المحسوسات المتقاربة . فأجريت تجارب على الحواس استخدمت فيها أجهزة كأجهزة معامل الطبيعة والضوء ، بعضها لقياس قوة قبضة اليد ، وبعضها لقياس مقدار التمييز اللمسى ، وبعضها لقياس القدرة على إدراك الفروق الصغيرة فى الأنغام والألوان والظلال . وقد قام بهذه الاختبارات جولتن فى انجلترا وكاتل وثورنديك فى أمريكا . وكانت نتيجة هذه الاختبارات أن قدرة التمييز الحسى فى الملموسات والمذوقات والمشمومات لا تدل على ذكاء الفرد ، وأن لا تلازم بين هذه القدرة والذكاء . فلا فرق فى قوة التمييز هـذه بين الأطفال والكبار ، ولا بين الأغبياء والأذكياء ، ولا بين المتحضرين وغيرهم

والأستاذ اسبيرمان وآخرون يقولون بأن للقدرة على تمييز النغمات الموسيقية المختلفة أو المتقاربة علاقة بذكاء الفرد ، وأن بينهما تلازماً إيجابياً قوياً ، فكلما كان الفرد أكثر ذكاء كان أقدر على تمييز هذه النغمات . وهو يرى « أن الذكاء له $\frac{9}{10}$ من نجاح الفرد فى تمييز الأصوات ذات النغمات المتقاربة »

أما العلاقة بين الذكاء وبين حدة النظر والقدرة على تمييز المرئيات المتشابهة ، فقد أثبت عدد كبير من الاختبارات بين تلاميذ المدارس أن الأغبياء وضعاف العقول يكثر فيهم ضعف البصر ، ولو أن كثيراً ممن يشكون من « قصر النظر » أذكياء ونابغون . وإذا حكمنا بنتيجة الاختبارات التى أجريت قلنا إن بين القدرة على تمييز المرئيات قريبة الشبه وبين الذكاء علاقة قوية وتلازماً إيجابياً . وبهذا يقول أنصار اسبيرمان[1]

— ٤ —

من الملاحظ أن الإنسان إذا كان تعباً جسمياً فإن زمن الرجع للمؤثرات الحسية الخارجية عنده يكون أطول من زمن الرجع حين نشاطه . ونحن فى أوقات الصباح أسرع رجعاً منا بعد القيام بعمل عضلى طويل . وقد تنبه علماء النفس لهـذه الظاهرة ، وحاولوا أن يعرفوا إلى أى حد يرتبط الذكاء بزمن الرجع الحركى للمؤثرات الحسية . وقد اخترعت آلات خاصة تسجل الفرق بين زمن صدور المؤثر الخارجى — عن طريق اللمس أو البصر أو السمع أو الذوق — وزمن رد الفعل . وأجريت

(١) صفحة ١٠٢ من كتاب Psychological Tests of Educable capocities

(٢) صفحة ٣٢١ من كتاب Individual Differences للأستاذ فريمان

(٣) المثل اللاتينى Nihie est in intellectu quod prius not fuerit in sensa

(١) وقد وضع الأستاذ مقاييس حسية نظرية للذكاء نشرها بالعربية الدكتور القوصى

اختبارات لأفراد كثيرين لمعرفة ما إذا كانت سرعة الرجع دليلاً على شدة الذكاء ، والنتائج التي أسفرت عنها الاختبارات متضاربة بحيث لا يصح الجزم بها نهائياً

— ٥ —

اهتم علماء النفس منذ أوائل القرن الحالي بدراسة الشخصية Personality وعناصرها ، والعوامل الفيزيولوجية التي تؤثر في تكوينها . ومن المدارس السيكلوجية التي لها رأي وجيه في دراسة الشخصية مدرسة أمريكية ترى أن للغدد الصماء Indocrine أثراً هاماً في تكوين الشخصية بما تفرزه من عصارات تسمى الهرمونات Hormunes ، والذكاء عامل من عوامل الشخصية

والهرمونات هذه عصارات ذرية تسير في الدم وتعمل على تنشيط وظائف الأجهزة العضوية المختلفة أو إضعافها ، كالجهاز الهضمي والتنفسي والتناسلي والعصبي ؛ وبعض هذه الهرمونات يؤثر في المخ ونشاطه . ومن الغدد التي تفرز الهرمونات الغدة الدرقية وموضعها الرقبة . وهي تفرز هرموناً يحتوي على كيات من « اليود » ضرورية لنمو الجسم ونشاطه . ويولد بعض الأطفال وعندهم ضعف في هذه الغدة ، ولذلك لا ينمون نمواً طبيعياً ، فيظلون أقزام الأجسام ، ضعاف نمو المخ ، أغبياء ، بطيئين في أعمالهم . ومعنى هذا أن للهرمون الدرقي أثراً في ذكاء الفرد . وتوجد غدة أخرى اسمها الغدة النخاعية The pituitary gland وموضعها قاعدة الدماغ ، وتفرز هرموناً يشبه في أثره الهرمون الدرقي ، أي أن له أثراً في نمو الجسم ونشاطه وفي نمو العقل ونشاطه

من أجل هذه الصلة بين العقل والجسم وغدده كان من الضروري لطلبة علم النفس في الجامعات الأوربية والأمريكية أن يدرسوا علم وظائف الأعضاء ، والعلاقة بين الوظائف العقلية والوظائف العضوية ، كما أصبح من الضروري أن يدرس طلبة الطب قدراً من علم النفس ، والحقيقة أن علم الطب وعلم النفس يكمل الواحد منهما الآخر ، لأن موضوعهما واحد وهو الإنسان

— ٦ —

ولمعرفة علاقة صحة الجسم أو مرضه بالذكاء يجب أن نفرق أولاً بين ما يسمى نسبة الذكاء الثابت عند الفرد وبين نوع الإنتاج وجودته ، وقد أجريت عدة تجارب في هـذا الموضوع ، وكلها تقريباً يؤكد أنه ليس للمرض أو الصحة أثر في نسبة الذكاء الثابت إلا إذا حدثت العلة في سن مبكرة وأصبحت دائمة . وأما العلل الطارئة كتسويس الأسنان ، والتهاب اللوزتين ، والعمى ، والصمم فإنها تضعف من كية المنتج ونوعه ، وإن كانت لا تؤثر في نسبة الذكاء الثابت . ويقول الأستاذ فريمان : « إنه ولو فرضنا أن مرض الجسم أو ضعف نموه لا يؤثر كثيراً في نمو العقل فإنه من الممكن أن يؤثر تأثيراً محسوساً في القدرة الإنتاجية للفرد وفي وظائف مواهبه العقلية ، وعلى كل حال يجب أن نذكر دائماً أثر المرض وضعف الجسم كلما حاولنا أن نحكم على ذكاء الفرد من مقدار إنتاجه »

أما صاحبنا الذي أشرت إلى ذكائه في طليعة هذا المقال فمن يدرينا لعله لو كان سليما لكان إنتاجه أكثر وأكمل من إنتاجه أثناء المرض

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

بين مصر والهنـــــد

للأستاذ أبي الحسنات محمد محي الدين

كلما درسنا تاريخ قدماء المصريين وتاريخ الهنود القدماء ، لاحظنا وجوه التشابه بينهما ظاهرة وواضحة . لذلك نورد هذا البحث عساه يكون موضع إمعان واهتمام لدى علماء مصر والهند

الديانة المصرية القديمة

تستمد العقيدة الرسمية عنـد قدماء المصريين على أسطورة قديمة ترجع إلى ما قبل التاريخ فى نسبتها ، وهى عقيدة الثالوث المقدس : (١) أوزريس إله الإنبات والخصوبة أو إله النيل ، (٢) إيزيس إلهة الحكمة والتشريع . (٣) توت إله العلم والتدبير

ثم عرتهـا قوانين التحول والتدرج وانتقلت إلى عقيدة التاسوع المقدس بدل الثالوث المقدس وهى ترجع إلى القوى الطبيعية المؤثرة فى الكون وهى : (١) الماء . (٢) رع (الشمس) (٣) سرا (الهواء) . (٤) تيفينة (الفراغ) . (٥) جيب (الأرض) . (٦) توت (السماء) . (٧) أوزيريس (النيل) . (٨) إيزيس (الأرض الخصبة) . (٩) سيت (الأرض القاحلة) أو الصحراء (نيفتيس)

وقد أعطى المصريون لهذه الأشياء صفة الألوهية واعتقدوا أيضاً أن هناك ربّاً هو رب الأرباب وأطلقوا عليه اسم (توم) ، واستمرت الحال على ذلك حتى جاء عهد (مينا) الأول فأعلن أن الإلهين (حوريس) خليفة (أوزيريس) فى الألوهية و (سيت) عمه وخصمه فى دعوى الألوهية قد حلاً فى جسده وابتدأ تأليه الملوك (الفراعنة) . ولم يستمر الفراعنة موضع القداسة لحلول الإلهين فقط ، بل ارتقى فرعون وصار يحل فيه (رع) كبير الآلهة

ثم تحولت عقيدة الحلول من الملك إلى الأجسام التى تتصل بالخصب والإنتاج والبذر والأثمار والأحياء التى تمتاز بميزة يعرفها الفلاسفة والكهان ، فأحلوا آلهتهم أحياناً فى ثور (عجل أبيس) وأحياناً فى قط وأحياناً فى ثعبان وأحياناً فى تمساح

ولقد وصف بعض الكتاب هـذه العبادة قال : « على هياكل المعابد سجف منسوجة بالحرير ؛ فإذا تقدمت إلى نهاية المعابد لترى التمثال تقدم إليك كاهن فى سكينة ووقار وهو يرتل مزاميره فيزيح قليلاً من الستار ليريك الإله ، فلا ترى إلا قطاً أو تمساحاً أو ثعباناً أو حيواناً مؤذياً ، فكان إله المصريين دابة ملونة على بساط أرجوانى »

هذه هى الديانة المصرية القديمة فى أدوارها المختلفة وتلك هى أهم عناصر تكوينها . وبجانب هذا نعرض على القارئين الكرام أهم نواحى الديانة الهندية القديمة لنقارن بين الديانتين فنقول :

الديانة الهندية القديمة

تدل الأسـفار القديمة والآثار العتيقة التى ترجع نسبتها إلى ما قبل التاريخ على أن قوام الديانة الهندية القديمة هى القوى المؤثرة فى الكون وهى الأقانيم الثلاثة المكونة من (١) براهما (الشمس) الإله الخالق للكائنات وهو إله العلم والتدبير ، والحكمة والتشريع (٢) سيفا (النار) إله القضاء والسحر والفناء (٣) فشنو (الأرض) إله الرحمة والخصوبة والسقاية (الكنج وجنا وبراهما بوترا وغيره من الأنهار المقدسة) ، ثم لم يلبثوا أن جسدوها واعتقدوا حلولها فى بعض الأجسام فأقاموا التماثيل وعبدوا الأصنام لحلولها فيها فتعددت آلهتهم حتى بلغت ستة وثلاثين من الماء (الأنهار) والهواء والسماء والشمس والأرض الخصبة والقاحلة والأشجار والأثمار وغيرها من الأجرام الأرضية والسماوية فأحلوا آلهتهم فى الأحياء التى تتصل بالخصب والإنتاج والبذور والأثمـار والأجسام التى لاحظوا فيها ميزة فعبدوا الحيوانات المخيفة المؤذية كثنين مفزع وتمساح هائل مخيف وعبدوا البقر والفيل وهلم جرا

كل هذه الأشياء قد بلغت إلى درجة الألوهية فى نظرهم ، لهذا أقاموا لعبادتها معابد وصوامع وزينوها على النمط المبين فى وصف الكاتب المؤرخ للمعابد المصرية وهياكلها . واستمرت الحال على ذلك حتى أعتقدوا أن بعض آلهتهم حلت فى جسم الإنسان وهو الملك ، ومن ثم ابتدأت عقيدة تقديس الملوك أوحلول اللاهوت فى الناسوت ، ولا تزال هـذه العقيدة باقية فى كثير من نواحى الهند كبلاد الأراكن وجزيرة برما وتيبارا فى شرق البنغال وآسام وغيرها من المناطق التى يدين سكانها بتأليه الملوك . واعتقدوا أيضاً أن هناك إله الآلهة وسموه (آتما) ، أى الإله الأكبر

هذه إلمامة موجزة لما في الديانتين القديمتين من التشابه ، وهو من الوجهة الدينية ، وكذلك الحال من الوجهة الاجتماعية العامة من الأخلاق والآداب والعادات والتقاليد ، كما لا يخفى على الباحث المدقق والدارس المحقق

يتساءل الباحث ما هو وجه التشابه بين الديانتين القديمتين ؟ وهل كانت هناك بين الأمتين علاقة دينية أو ثقافية أو اجتماعية ؟ وهل كانت أسباب المواصلات بينهما متوافرة ؟ أم كانت هناك جماعة رحالة طاب لها المقام فاستقرت أم ضاق بها المعاش فانتشرت؟ أم طردها العدو فالتجأت ؟ وحملت معها الديانة والمدنية والحضارة والثقافة والتقاليد والعادات وغيرها من المقومات الضرورية للحياة، فعلى هذا أين كان موطنها الأصلي ؟ مصر ، أم الهند ؟ وما الذي دفعها للنزوح إلى ما وراء البحار ؟

كل هذه الأسئلة تمر بخاطر الدارس من غير شك ، ومفتاحها تصفح التواريخ السيكولوجية للأمتين للبحث عن نفسيتهما وعقليتهما وميزاتهما التي تمثل أصل حضارتهما ، وتتبع النقوش في المعابد التي لم يؤثر فيها كر الغداة ومر العشي ، وكل ذلك يشير إلى أن في طيات ذلك الدفين الذي لم ينشر بعد من قبره حضارة زاهية اشتركت في تكوينها جميع أفراد هاتين الأمتين[1] بيد أن أكثر تلك الآثار لا تزال مبهمة ولم يبين كنهها ، ولا يزال البحث جارياً لكشف ذلك ، وقد أخذت الأسباب تتوافر ومادة الاستقراء تتكون بفضل الأجهزة العلمية الحديثة . وها نحن أولاء ندعو علماء مصر والهند للتعاون على هذا الموضوع التاريخي . فهل من مجيب ؟

أبو الحسنات محمد محيي الدين
« طاغور » الهندي

(١) أخبر ثقة جليل القدر أنه قرأ أن جماعة من أهل صعيد مصر رحلت إلى الهند واستوطنت جنوب الدكن بمملكة حيدر أباد في حين أن جماعة أخرى من الوجه البحري اقتدت بهم ونزلت في الشمال الغربي والشمال الشرقي للهند ، واستدل كاتب ذلك بأن الآثار التي اكتشفت حديثاً في بلاد الدكن على جانب كبير من الشبه بآثار الصعيد المصري ، وكذلك نفسيتهم وعوائدهم . وكذلك أهل الوجه البحري أيضاً الذين اختاروا لهم البلاد الواقعة بالشمال الغربي والشمال الشرقي ، والمملوءة بالأنهار والمحيطة بالبحار الكثيرة ، إلا أن الغزاة الفاتحين من التتار والمغول قد تغلبوا على الكثير من عوائدهم على مر الزمان

خواطر في الحرب

للأستاذ محمد عرفة

أخير هذه الحرب القائمة أم شر ؟ إن هذا السؤال يبدو غريباً ، إذ كيف يمترى أحد في أن هذه الحرب جمت من الرزايا والنكبات ما تقشعر من هوله الأبدان ؟ هذه دماء سفكت ، وبيوت دمرت ، ومئات الآلاف من السكان أصبحوا لا يجدون مأوى يأوون إليه ، وهذه أقوات وأرزاق قد سلطت عليها النيران فالتهمتها ، وأصبح فريق عظيم لا يجد الطعام . هذه شعوب كانت حرة فاستعبدت ، ومن هذه الشعوب شعوب كان في إطلاقها وحريتها مجال فسيح لابتكار ما يفيد المدنية ، وفي استعبادها وقيودها الفكرية ما يعطل هذا الانتاج

هذه أمور ظاهرة لا تجعل مجالاً للشك في أن الحرب نكبة عالية ، ولكن على الرغم من ذلك أتساءل أخير هي أم شر ؟ وأزيد فأقول إنها ربما تكون خيراً ، وربما تكون شراً : تكون خيراً إذا رأى المتحاربون وبلات ما صنعت الحرب ، وأنه يمكن التخلص منها ، إذا علم أسبابها واجتنبت ، وأن سببها هو إحلال قانون القوة في الأمم محل قانون العدل

إذا علم المتحاربون ما في قانون القوة من قدرة على إضرام الحرب وسموا للتخلص منه، كانت هذه الحرب التي أثمرت هذه الثمرة بركة على الناس . إن من الشعوب التي غلبت على أمرها في هذه الحرب شعوباً كانت تعامل شعوباً أخرى بهذا القانون ، فكانت تغزوها ، فإذا تغلبت عليها فرضت عليها إرادتها ، ثم تمنعها أسباب الرقي العقلي والخلقي ، لأنها تخاف إذا هي ترقت في هاتين استنارت وطلبت الخلاص ، وربما نالته ، وكانت لا تشعر بجرم ما تعمل ، لأنها تعمل ذلك في غيرها . وقد دار دولاب الأيام ، ووقعت هذه الأمم في قبضة غيرها ، وعوملت بقانون القوة ، وسقيت بالكأس التي كانت تسق بها ، فوجدت لذلك ألمه ، وعندها ربما تدرك سوء ما كانت تفعل مع الأمم الأخرى وتستنكره ، فتنكر قانون القوة ، وتعرف قانون العدل فيخسر قانون القوة بعض الأنصار ، ويكسب قانون العدل ناصراً جديداً . وفي هذا الاحتمال أيضاً خير عظيم ، لأنه خطوة واسعة في سبيل السلام

محمد عرفة

مطالعات عابرة

العقل عند المعتزلة

للأستاذ صلاح الدين الشريف

المعتزلة فرقة من أعلى الفرق الإسلامية تفكيراً وأخصبها إنتاجاً وأبعدها أثراً فى فسح آماد الفقه وتقعيده على قواعد من المنطق لم تكن لجدتها مألوفة ولامقبولة من جمهور فقهاء الإسلام. وهى إلى التزامها جانب الطرافة فى التفكير وأخذها النفس بتحكيم العقل الإنسانى فى تفسير ما تَبَهَّم من معميات الوجود وألاغيز النفس وأسرار العمران البشرى، ليست تنجو من إغراق وتطرّف لعلهما كانا لازمة من لوازم النفاح عن العقيدة والوثوق بما يرتئيه العقل من رأى، وما يتأدى إليه التفكير العميق من مبدأ، وما يرتصد له من فكرة. وليس بعجيب ألبتة أن يسبق رجالها إلى استنباط فكرة « القانون الطبيعى » الذى يستلهم دستوره فى التشريع واستنباط الأحكام من وحى العقل الخالص من لوثة الهوى، المصون من نزوة النزرة؛ وهم الذين تطلّقوا فى النظر والبحث من قيود التقليد وتحرروا من اندفاع الجاراة، فلا جَرَم تبدّى ثمرات قرائحهم فى مسوح من الغرابة، ولا يقبل على تناولها جمهور الأمة الإسلامية وتتشذ إلا فى كثير من الحذر والشك والتحرج والارتياب!

كانت الحركة الفقهية فى مطالع النهضة العامة للمجتمع الإسلامى وفى أواخر عهد الراشدين وطيلة خلافة الأمويين فالعصر الأول من دولة العباسيين، قد اتخذت أسلوباً من النشاط ولوناً من النماء لم يعهده هذا المجتمع من قبل، فكان طبيعياً أن يتأدى بالفقهاء نشاطهم إلى ولوج أحرج مشاكل الفقه، وأكثر موضوعاته جفافاً وعمقاً. وكان حتماً أن تقودهم عقولهم المتلهفة المطشى إلى النظر فى فلسفة التشريع والبحث فى حقيقة المبادئ والقواعد التى تسير عليها أحكام الله وأحكام الإنسان، ليتخذوا من هذه وتلك دستوراً لا يخطئ فى فهم المشيئة الإلهية والحكم على حُسن أو قُبح ما يتهدى إليه تفكير الإنسان، وما يطوّعه له كسبه الاختيارى المركوز فى طبيعته من أقوال وأفعال

فلما اتفق جمهور الأمة الإسلامية على أن مُعرِّف حكم الله بعد مجىء الرسل هو الرسول نفسه الذى يتلقى عن طريق الوحى شرع السماء، ويبلغه إلى من بعث إليهم ليؤدى رسالته، ظهر فريقان كبيران من المسلمين حاول كل منهما أن ينفذ بالنظر العميق والذوق السليم إلى مظهر الوحى الإلهى من أمر أو نهى ليرده إلى أصله الذى صدر عنه ومبدئه الذى درج منه. فقال فريق « الأشاعرة »: إن الله تعالى فى أمره ونهيه وجماع تعاليمه التى يلقنها الأنبياء بالوحى، ليس يفعل سبحانه إلا ما يشاء ولا يشرع إلا ما يريد، فهو تعالى رب العالمين ومالك الملك كله لا يسأل عما يفعل؛ وينبنى على هذا دستور الأشاعرة فى التشريع السماوى، وهو أن ما يأمر به الله العلى القدير حسن جميل، وما ينهى عنه هو القبيح الردىء

وأما المعتزلة فال فقهاؤهم إلى النظر فى صفات الله تعالى من لطف وحكمة ورحمة وعلم، وفضلوا أن يجعلوا منها مصدراً بدهياً لما يوحى به الله إلى رسله من نهج ومن شرعة. فهو على قدرته تعالى فى تحريم ما شاء والأمر بما شاء، لا يخالف منطق العقل فيما نهى أو أمر؛ أى أنه تعالى لا يأمر إلا بما يراه العقل حسناً من قبل، ولا ينهى إلا عما يراه العقل قبيحاً من قبل

والعقل أيضاً عند هذه الطائفة، هو المنظم لأحوال المجتمع الاسلامى قبل مجىء الرسل وبعث الأنبياء، فهو الذى يهدى الأفراد والجماعات إلى فعل ما يدركون أنه حسن بالفطرة، وهو دافعهم إلى أن ينتهوا عما بان قبحه وظهر ضلاله وخبثه وخالف حكم العقل مخالفة صريحة. وإذا كانت الجنة مثوى من أطاع شرع الله ونفذ أحكامه وانتهى بنواهيه، وإذا كانت النار قراراً لمن عصوا ربهم فارتكبوا محارمه وقارفوا مناكر ما نهوا عنه وصدوا عن سبيله، فإن العقل أيضاً هو المجز المثيب وهو المعاقب المؤاخذ. فقدرة العقل على أن يستقل بإدراك الحسن والقبح فى الأفعال، وعلى تقدير ما يترتب على فعل الحسن من استحقاق الثواب وما ينجم عن فعل القبيح من استحقاق العقاب، يصح أن يعد مصدراً لتعريف حكم الله تعالى ودستوراً، من باب أولى، لتشريع السماء، بله أحكام الفقهاء

فالتشريع ، سواء أكان من وحى السماء أم من وضع البشر فى عصور ما قبل الرسل ، يراه فقهاء المعتزلة كاشفاً ومقرراً لما أدركه العقل من قبل . فهو كما ذكرنا لا يستنكر إلا ما يراه قبيحاً ، ولا يرضى إلا بما يراه حسناً . وفى كلا الحكمين يعتمد على فطرته المادية وذوقه المرهف وإدراكه السليم . ولما كانت أحكام الله عند تشريعها قد قصد بها أن تحكم مصالح العباد وتنظم الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، وبالجملة تهدى الناس إلى التى هى أقوم ، ولما اقتضت حكمته تعالى ورحمته بعباده أن تجىء شرائعه معقولة مفهومة من أولئك المطالبين بالأخذ بها والتسليم لها ، كان « واجباً » على الله سبحانه أن يشترع لعباده الأصلح الذى يغنى والأقوم الذى يهدى ، وكان « حراماً » عليه أن يترك هذا الأمر لا ضابط له ! ...

ولعلنا لا يتداخلنا العجب بعد هذا الذى قدمناه ، إذا رأينا المعتزلة يؤمنون بمبدأ « القدرية » حتى يغلب عليهم اسمه ويصير كنية لطائفتهم تمتاز به عن غيرها من الطوائف المتفرعة عنها .

فهى ما دامت تقول بالعقل حاكماً مطلقاً للحسن والقبيح من الأفعال ، وما دامت تجعل منه دستوراً لا يخطئ فى تفسير شرائع الله ، وتنظيم مصالح العباد ، واستنباط الأحكام للناس فى دائرة المعاملة ومحيط المعاش ، فإنها لن ينقطع بها تفكيرها عن درك هذه النتيجة المنطقية ، وهى أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً فى الدار الآخرة ، وأن الله تعالى منزّه عن أن يضاف إليه شر أو ينسب إليه سبحانه ظلم ، لأنه لو خلق الظلم لكان ظالماً ، وبالتالى لو خلق العدل كان عادلاً . فالحكيم عند المعتزلة هو من يفعل الخير لأنه الخير ، ويتنكب سبيل الشر لأن شره واضح له ، أو بمعنى آخر تتقاضاه الحكمة الراشدة والمعرفة المادية أن يعتنق الحسن ليثاب عليه ، ويصدف عن القبيح خشية أن يجازى به ، لأنه يحفظ بالأول أمر دينه ودنياه ، ويخرج بالثانى على أمر عقله فيعصف بحياته ويكون خاسراً لدينه ودنياه

ومن ثم كانت تكاليف الله التى أمر رسله أن يأخذوا بها العباد ، هى بمثابة ابتلاء صادق للصالح والطالح من عباده . فمن هلك فى الدنيا أو الآخرة لأنه صدعنها ، فإنما يهلك عن « بينة » أى عن تعقل وتدبر ، ومن صلح وزكا وحقق له مرافه العيش الدنيوى ومتاع الآخرة ، فإنما كان ذلك عن بينة أيضاً ، لأن أصول المعرفة وإن كانت مستمدة من العالم الخارجى الذى يتكنفنا وتقع عليه حواسنا ، إلا أن إدراك مدلولاتها الحسنة أو القبيحة وشكران النعمة على هذا الإدراك إنما مصدرها العقل ، فالإدراك الصحيح والشكران الحق واجبان على كل مكلف لأنه رزق العقل ووهب الاختيار فى الكسب

وبعد فهل أصاب المعتزلة فى فلسفتهم هذه ، وهل هى تصلح بذاتها لتعريف حكم الله وتقعيد التشريع والفقه على العقل الذى يستقل بالقدرة على تنظيم العباد تنظيما معقولاً مفهوماً يقربون به من الحسن ويبعدون به عن القبيح ؟

قلنا إن الأشعرية يرون أن الحاكم على الأفعال بالحسن والقبح هو الله الذى لا سبيل للعقل فى الحكم عليه لأنه سبحانه متعال عن أن يحكم عليه أحد من العباد فهو خالق أفعالهم وجاعل بعضها حسناً وبعضها قبيحاً ، ويلاحظ أن فى هذا أخذاً — إلى حد ما — بمذهب الجبرية الذى يقول إن الله قدر الأفعال حسنها وقبيحها ، على الناس أزلاً ، فلا مجال لهم فى كسب أو اختيار ما دام أن العبد لم يقدّر فعله ، فضلاً عن أن الثواب والعقاب هما لله وحده وليس فى طوق العبد أن يعلم بهما إلا منه تعالى

والواقع أن الحسن والقبح إذا تأملنا فيهما تأملاً تجريدياً حكمنا بحق أنهما ليسا صفة ذاتية فى الفعل وليسا أمراً ثابتاً مستقراً فيه حتى يصح حكم العقل على حسن الفعل أو قبحه . والعقول بجانب هذا مختلفة متفاوتة لا تتفق فى حكمها ، بل إن عقل الشخص الواحد لا يثبت فى حكمه على شىء من الأشياء على حالة واحدة ، تبعاً لاختلاف المؤثرات الزمانية والمكانية وتفاوت التفكير قوة وضعفاً

ونخلص من هذا إلى أن المعتزلة قالت بنظرية القانون الطبيعى قبل الغربيين بزمن مديد ، وهى النظرية التى تجعل العقل البشرى مصدراً للقانون يعلو على التشريع سواء كان صادراً من سلطة غير منظورة كالله ، أو من سلطة منظورة كالسلطان (الإمام) . فالعقل — كما يقولون — هو الذى يستقل بكشف قواعد هذا القانون ومبادئه الخالدة معتمداً فى هذا على الإدراك الصحيح والذوق السليم

صبوح الدين الشريف
المحامى

إلى معالي وزير المعارف

التعليم الزراعي

- ٢ -

دعوتك لما براني البلاء — وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال — فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في محفل — فها أنا في محفل من قرود
فلا تسمعن من الكاشحين — ولا تعبأن بمحك اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت — ودعوى فعلت بشأو بعيد
(المتنبي)

المستقبل:

وهكذا تتكبد الدولة ستين وخمسمائة جنيه في السنة للمكتب الزراعي الواحد، أي حوالي خمسين جنيهاً للتلميذ الواحد في السنة، أي خمسين ومائة في السنوات الثلاث لينتهي بعدها إلى جهل مسطور في شهادة يسمونها (الدبلوم)، ثم يُلفظ إلى الشوارع والطرقات يتسكع يطلب الوظيفة كدأب أي طالب تخرج في مدرسته ليزداد به عدد العاطلين عاطلاً آخر

وقد تنفرج شفتا الحياة لواحد منهم عن ابتسامة فيجد عملاً فما يلبث أن يبدو جهله، وكثير منهم طردوا من الدوائر والضياع وشرّدوا ولم يبق منهم إلا من أصاب عملاً في مدارس الزراعة المتوسطة.

والآن حين أسفرت التجربة عن إخفاق يندى له الجبين، قام ناس يتناخون عنها، ويريدون أن ينشروا الفكرة وينشئوا مكاتب أخر إشفاقاً على أنفسهم أن تجتاحهم العاصفة.

مشروع جديد:

إلى هنا هوى المشروع بين يدى النقد الصريح، وما كان لي أن أهدم مشروعاً دون أن ألتمس له طريقاً يسلك صوب النجاح. وبينا أنا أفتش عن طريق الإصلاح إذا بالجرائد تطلع علينا تقول:

« أشرنا من قبل إلى رغبة وزارة المعارف في تيسير التعليم الزراعي لتلاميذ المدارس الإلزامية وقد انتهت إلى وضع النظام التالي على أن يعمل به ابتداء من السنة الدراسية القادمة

أولاً: يلحق تلاميذ المدارس الإلزامية بالمدارس الزراعية المتوسطة ليتمرنوا تمريناً عملياً في أقسامها المختلفة كالحقل ومعامل الصناعات الزراعية ومعامل اللبن.

ثانياً: أن تكون مدة الدراسة خمس سنوات: اثنتان إعداديتان والسنوات الثلاث الباقية يوزع فيها التلاميذ للتخصص بأحد القسمين وهما: قسم الحقل ويشمل معمل الألبان وتربية الحيوانات. وقسم البساتين ويشمل الصناعات الزراعية وتربية النحل ودودة القز

ثالثاً: ألا تقل سن التلميذ عند الدخول عن ١٣ سنة ولا تزيد على ١٥ سنة وبشرط أن ينجح في كشف الهيئة والكشف الطبي » (الأهرام، ٣/٨/١٩٤٠)

فقلت: لاجرم، فقد تكسر المكتب الزراعي القديم ليكون هذا المشروع مكتباً زراعياً آخراً من نوع جديد، وهالني أن « يلحق تلاميذ المدارس الإلزامية بالمدارس الزراعية المتوسطة » لأمور أفصلها فيما يأتي:

أولاً: لأن التعليم الإلزامي يعم القطر المصري كله، والمدارس الزراعية المتوسطة في دمنهور وشبين الكوم ومشتهر والمنيا فحسب؛ فكيف يستطيع التلميذ الإلزامي في قنا أو جرجا أو كفر الشيخ أو كوم حماده — مثلاً — أن يأخذ قسطه من التعليم الزراعي الجديد ونحن نعلم أن تلامذة الإلزام فقراء لا يستطيع الواحد منهم أن ينأى عن أهله، وإن استطاع هو فلن يرضى أبوه وهو في حاجة إليه شديدة، وإذن لا يمكن أن ينتشر هذا التعليم بين تلامذة الإلزام في سهولة وبتكاليف قليلة. وإذا قيل إن هذا المشروع ستنفذه فئة قليلة ممن يستطيعون ... فقد ضاعت الفائدة المرجوة؛ وانمحى مبدأ (التيسير) الذي تنشده الوزارة

ثانياً: لأن أجازات التعليم الإلزامي — ولا سيما في القرى — مرتبطة بمواسم الزراعة فالتلميذ هو عضد أبيه ... ولقد جاء في أهرام ٢٧/٧/١٩٤٠ ما يأتي: « وافق معالي وزير المعارف على تعديل نظام الأجازات بمدارس الزراعة المتوسطة ابتداء من أول السنة القادمة بحيث لا تقع هذه الأجازات أثناء المواسم الزراعية المهمة فيفوت على الطلبة ما يمكن أن يفيدوه من خبرة

ودربة على الزراعة العملية تحت إشراف أساتذتهم » . ولا ريب فهذا قانون يسرى على كل طالب وتلميذ فى المدارس الزراعية ومن بينهم تلميذ الإلزام ، فهل يا ترى ، يضحى الأب بقوته ، أم تضحى الوزارة بالفائدة ؟

ثالثاً : لأن تلاميذ التعليم الإلزامى سيخلقون فى المدارس الزراعية فوضى يحق لى أن أسميها « فوضى الاضطراب » أو « فوضى التوسع » . ذلك لأنهم لا يستطيعون أن يقوموا بما يقوم به الطالب الزراعى فى حين أنهم يقفون معاً جنباً إلى جنب فالطالب الزراعى يستطيع أن ينهض بأعباء الدراسة فى سهولة لأنه نال حظاً من الثقافة المتوسطة ، وأن ينتظم فى الدراسة فى غير عنت لأنه كرس حياته لهذا النوع من التعليم ، وأن يدفع المصروفات لأنه غنى . أشياء تعضل كلها على التلميذ الإلزامى

ولعل إنساناً يقول : إن التلميذ الإلزامى سيتعلم مجاناً . لا بأس وإذن يجب أن يتعلم الطالب الزراعى بالمجان أيضاً ، وإلا فعلى أى أساس تكون التفرقة بين هذين التلميذين . فإن اعترض إنسان بقوله إن لكل منهما عملاً . قلت : وكيف يضمهما بناء واحد يشعر أحدهما بالكبرياء والترفع ويشعر الآخر بالضعة والذلة ؟ وكيف يضم بناء واحد فئتين من التلاميذ يدرسان فناً واحداً غير أن إحداهما دون الأخرى . لا مرية ، فهذا عمل تأباه الإنسانية وإذن لا بد أن ينفصل أحدهما عن الآخر

وهنا ينهد هذا المشروع الجديد قبل أن يبدأ

رابعاً — لأن « فوضى الاضطراب » أو « فوضى التوسع » تبدو للعين واضحة جلية حين نرى أن ناظر مدرسة الزراعة المتوسطة سيشرف على المدرسة الجديدة والمدرسة القديمة وتلامذة الإلزام ولكل فئة من هؤلاء منهج ونظام ، ثم الحقل والعمال والمخازن والآلات و ... مما ينوء بالعصبة أولى القوة . ولكن الشغف بالشىء يعمى عن الحقيقة البينة

الإصلاح :

إن نشر التعليم الزراعى بأقل التكاليف وأبسط الطرق هو المبدأ الذى وضعته أمام عينى حين أخذت نفسى ـ بادئ ذى بدء ـ بنقد هذا التعليم . وهذا المبدأ يستطاع تحقيقه بتنفيذ عملين معاً

العمل الأول : أن تصير سنوات الدراسة فى المدارس الإلزامية خمساً وتلحق بكل مدرسة قطعة أرض صغيرة تقسم إلى خمسة أقسام لكل فصل قسم يزرعه نوعاً أو أنواعاً من المحاصيل الزراعية أو الخضروات حسب تقسيم المنهاج . وهذه القطعة يزرعها التلاميذ بأنفسهم لا يساعدهم أحد إلا أن يكون للتدريب والتوجيه ليشهدوا ويعملوا بأيديهم تحت إشراف مدرس من خريجى المدارس المتوسطة . أما الماشية التى يحتاجون إليها فيستطيعون الحصول عليها من أحد أعيان الناحية أو من عمدة البلدة . ويقوم التلاميذ على حساب الإيرادات والمصروفات ، ويكلفون بجمع الحشرات المختلفة ويتعلمون (سورة الفدان) . وهكذا يستطيع التلميذ أن يتعلم فن الزراعة وفلاحة البساتين ومبادىء الكيمياء الزراعية وعلوم الحيوان والنبات والحشرات ومساحة الأراضى فى صورة بسيطة . ولا ريب عندى أن التلاميذ يستطيعون بجدهم أن يسددوا إيجار قطعة الأرض الملحقة بالمدرسة ، وبذلك لا تخسر الوزارة شيئاً فى حين قد كسب الوطن أشياء كثيرة

وهذا عمل تقوم به مراقبة التعليم الإلزامى فى سهولة ، وفى غير إرهاق

ولتمام فائدة هذا العمل ينشأ فى كل مركز معمل ألبان وآخر للصناعات الزراعية يقوم عليه طائفة ممن أتموا مرحلة التعليم الإلزامى ويبتغون الزيادة : يشترون المواد الخام ، ويبيعون المنتجات ، ويحسبون الأرباح والخسائر بأنفسهم

العمل الثانى : أن ينشأ فى كل قرية أو عدد من القرى المتجاورة مكتب إرشاد يشرف عليه أحد خريجى كلية الزراعة ويكون رئيس هذا المكتب هو رئيس مدرس الزراعة بالمدرسة الإلزامية ، وحلقة الاتصال بينه وبين المباحث الحديثة ، فهو يبلغه النشرات الجديدة ، وما يطرأ على فن الزراعة من تجديد وتغيير ، ويفتش على عمله بالمدرسة وبالحقل ، ويكتب التقارير إلى جهة الاختصاص و ...

وهذا العمل تقوم به وزارة الزراعة أو وزارة الشئون الاجتماعية

***

هذا ... وللمدارس المتوسطة جولة أخرى إن شاء الله

« للموضوع تكملة » (*)

وداع الشاطئ

من الفردوس الى الجحيم

للأستاذ سيد قطب

أُحلُ يا شطُّ ما تشاء فإنّي ... رغم سحرِ الجمالِ والموجِ راحلْ
راحلٌ حَشْدُ نفسه لفتاتٌ ... ليس عن فتنة الجمالِ بغافلْ
قدْ دعَتْهُ إلى الرَّحيلِ ديارٌ ... في صميم الجحيم تُدعى الشواغلْ
هي قبرُ الآمالِ والفنِّ والحبْ ... بِ وقيدٌ عن كلّ ماشاقَ شاغلْ
وهي داري التي درَجْتُ عليها ... وإليها المآبُ مَهما أحاولْ !

أُحلُ يا شطُّ بالجمالِ طليقاً ... من قُيودِ الزمانِ نشوانَ واهلْ
أسكرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزجّي ... دفقاتِ الحياةِ في كلّ نازلْ
فيرى نفسَهُ خفيفاً غريراً ... قاهراً قادراً يجوزُ الحوائلْ
دفقاتُ الحياةِ في الموجِ أسْنى ... من بريقِ الآمالِ في نفسِ آملْ

أُحلُ يا شطُّ بالعرائسِ حُوراً ... سابحاتٍ والموجُ ظمآنُ ناهلْ
كانفتالِ الحيتانِ في البحرِ وثْباً ... وانثناءِ الغزلانِ والشطُّ ذاهلْ
فتنةٌ تسكبُ الحياةُ عليها ... سحرَها والعيونُ حُورٌ قواتلْ
واندفاعُ الأمواجِ يُوقظُ في النفْ ... سِ ظماءً مُرقرَقاً في الدَّخائلْ
وانطلاقاً من التزمّتِ والعُرْ ... فِ وشوقاً إلى المباهجِ واغلْ

أُحلُ يا شطُّ لن نُطيقَ انفلاتاً ... من رحيلٍ إلى جحيمِ الشواغلْ

القُبلة

للأستاذ خليل شيبوب

يا حبيبي قدْ أموتُ غدا ... ذائباً في حسرتي كمَدا
آهِ لوْ تشفي غليلي في ... قُبلةٍ ما تنتهي أبدا
أتملاها فما لفمٍ ... لِتُذيبَ الرُّوحَ والجسدا
ناهلاً أنفاسَها عبقاً ... نشرُهُ يسترْوحُ الخُلدا
شارباً من طيبِ رشفتِها ... خمرةَ الموتِ الذي عُهِدا
حافظاً من طعمِها بفمي ... لهباً يشتدُّ مُتّقدا
علقماً تحلو مرارتُهُ ... وتشُقُّ القلبَ والكبِدا
سكْرةٌ مخمورُها تعِسٌ ... لنْ يُلاقي بعدها رشَدا

إيهِ يا شمسَ حياتي التي ... نورُها قدْ شعَّ مُنفرِدا
أنتِ روحي ليسَ عنكِ غِنًى ... أوْ تُضحّي الرُّوحُ عنكِ فِدَى
أنتِ آمالي مُجسَّمةٌ ... تزدهي ألوانُها جُددا
وحياتي أنتِ زينتُها ... جُزْتِ فيها المالَ والولَدا
أنتِ سِرُّ العُمرِ أفهمُهُ ... أنتِ معناهُ يفيضُ هُدى
إنَّهُ قدْ صارَ لحنَ هوى ... وغدا قلبي بهِ غرِدا
كانَ لي عقلٌ يُدبّرُني ... وهْوَ في حُبّيكِ قدْ شرَدا
كانَ لي عزمٌ أعيشُ بهِ ... وهْوَ منّي اليومَ قدْ فُقدا
كلُّ ما في العيشِ من فتنٍ ... ذهبتْ غيرَ الغرامِ سُدى
أنا مُستغنٍ بحبّي عن ... كلِّ ما في الكائناتِ بدا
آهِ يا شمسَ حياتي ألا ... قُبلةً أحيا بها أبدا
أتملاها فما لفمٍ ... لِتُذيبَ الرُّوحَ والجسدا

عيد ميلاد سعيد

للأستاذ العوضي الوكيل

يومُكِ يومي ، وعيدُكِ العيدُ ... وفيهِ تحلو ليَ الأناشيدُ
يا روضةً قدْ زهتْ مطالعُها ... هأنذا في رُباكِ غرّيدُ
أشدو بأحلامِ مُهجتي أبداً ... شعراً تعي سحرَهُ الجلاميدُ
تألّقَ الحبُّ في جوانبِهِ ... وازدانَ بالفنِّ وهو منضودُ
وسلسلتْهُ عواطفٌ سلستْ ... فما بشعرِ الجمالِ تعقيدُ

يا زوجتي ، يا هوايَ ، يا أملي ... قلبي بمغنى سناكِ محشودُ
بقيّتي أنتِ في الحياةِ وما ... تحيّتي إلا إليكِ مردودُ
من مُنذ عشرينَ غيرَ واحدةٍ ... ومعدِنُ الفنِّ فيكِ موجودُ

نـــــداء ...

للأديب عبد الرحمن الخميسي

[يا حمامتي في محاجئ الصخر ، في ستر المعاقل ، أريني وجهك ، أسمعيني صوتك ، لأن صوتك لطيف ، ووجهك جميل] « التوراة * »

وجهها

سَوّاهُ رَبّي فِتنَةَ الأحياءِ   مِنْ سَرمَديِّ الحُسنِ واللألاءِ
ما وَجهُ أفرُوديتَ إلاّ صُورةٌ   منه ، كَظِلّ الوَرْدِ فَوقَ الماءِ
خَطَّ الإلهُ السِّحرَ في قَسماتِهِ   وَنَمَاهُ في جَنّـاتِهِ الفيحاءِ
وَسَقاهُ أرْوَاحَ الجمالِ فكلُّه   كلُّ الجمالِ مُفَصَّلُ الآلاءِ
فيهِ الربيعُ وفيه طيرٌ ماشدتْ   لكنّها تشدو بغـيرِ غناءِ
فيهِ مِنَ اللّيلِ الوديعِ قداسةٌ   تُلقي بُذورَ الخيرِ في أطوائي
فيه مِنَ الألَقِ المُصفّى لَمعةٌ   خمريةٌ مَشْـبُوبَةُ الإغراءِ
فيه خُفوتٌ شاعريٌّ ، تحتَهُ   نارُ الشبابِ تسيرُ في استخذاءِ
فيه النّقاوةُ والبَراءةُ جُمّعتْ   وتَحدّرَتْ منهُ إلى البُرَآءِ
هُوَ مَعبَدٌ تَعتاشُ في مِحرابِهِ   صَلَوَاتُ عُشّاقٍ ، وَنُسْكُ سَماءِ
ضَحّيْتُ فيه تَقرُّباً مِنْ خالقي   بزهورِ عُمْري واليناعِ هَنائي
وَنفضتُ عَنّي المجدَ ، مجداً زائفاً   وَنَشدتُ فيهِ رِفعتي وعلائي
وَعَبَدْتُ فيه اللهَ لا مَحبُوبتي   فاللهُ مُبدِعُ تِلكُمُ العَذراءِ
وَنَسجتُ مِنْ أنوارِهِ غَيبُوبَتي   فَوَجَدْتُها أنقى مِنَ الأضواءِ

(*) نشيد الانشاد . الاصحاح الثاني

وَقدْ سَخا الكونُ حينَ أخرَجَهُ   وهو شحيحُ اليدَينِ مَنكُودُ !
خُذي ، خُذي الشعرَ من مَصادرِهِ   وَرَدّديهِ إنْ لذّ تَرديدُ
وَرَجّعي لحنَـهُ عَلى خَلَدي   فإنّ هـذا للحُسنِ تَمجيدُ
إن حَدّدَته الحروفُ في كَلِمٍ   فما لَهُ في الضميرِ تحـديدُ
يومُكِ يومي ، وتلكَ تهنئتي   تَزِفُّهـا نحوَكِ الأغاريدُ
تَبَلبَلَ القلبُ في مَقاطِعِها   يهتفُ : عُمرٌ كالدّهرِ مَمدودُ

ياشعرَها الغِربيبَ ليتَ أنا الذي   أهتزُّ فَوقَ جَبينِها الوَضّاءِ
فأمُدُّ مِنْ ذاتي قِناعاً حالِكاً   يُخفي ابتسامَتَها عَنِ الأحياءِ
فأنا أغارُ ، وَغيرتي مَجنُونةٌ   هَدّتْ بنائي ، آهِ أينَ بنائي ؟
ما حَرّكَتْ أجفانَها إلاّ وَقدْ   لَطمَتْ فُؤادي غمرةُ الإعياءِ
والسهدُ في العينين كَبّلَ مَنطقي   وأصابني بالرعشَةِ الحمقاءِ

صوتها

ينسابُ كالصهباءِ في حِسّي إلى   أنْ تحتويه نشوةُ الصهباءِ
فتميدُ بي الدنيا وأنسى صرفَها   وتفكُّ روحي من إسارِ بقائي
وأهيمُ في أفقِ الذهولِ معانقاً   وَهمي إلى عُشٍّ مِنَ الأضواءِ
تختالُ فيه القُشْبُ من أحلامنا   وترفُّ حولي عَذبةَ اللألاءِ
هو ذُخرُ وجداني إذاما فَرّقَتْ   بيني وبينكِ رجفةُ الأنواءِ
فيرنّ في غوري صداهُ مرقرقاً   شوقَ الحبيبِ إلى الحبيبِ النائي
ويُفيحُ حَرَّ الوجدِ من أنغامِهِ   في جَبّتي وعلى هديرِ دمائي
فيلفّني الإعصارُ إعصارُ الجوى   وتُذيبُ نفسي غُربةُ الشعراءِ
إني أحسّ لِرَجْعِ صوتِكِ في دمي   لهباً وبرداً يُترِعانِ ذمائي
وأودّ لو أني هـواءٌ عاطراً   تملأ بموسيقاه في أحنائي
أطوي عليهِ النفسَ خشيةَ سامعٍ   وأغارُ يا دنيايَ من أحشائي
يا ليتَ أني في لهاتِكِ غُنْوَةٌ   علويةُ التلحينِ والإلقاءِ
لَسكنْتُ في الألبابِ أخلدَ منزلٍ   ما دمتِ أنتِ ترنمتْ بغنائي
إني الشحيحُ وجرسُ صوتِكِ في دمي   وَسْواسُ تِبرٍ نافذُ الأصداءِ
حولَ الرنينِ يطوفُ عُمري مثلما   يتطوّفُ الحَرّانُ بالأفياءِ
ولسانُكِ الذهبيُّ قيثارٌ سرَتْ   مِنْ قلبِهِ أغرودةُ الجوزاءِ
وكأنها فجرٌ ، أنا في نورِهِ   جسمُ الدجنّةِ ذائبُ الأعضاءِ
وكأنها عطرٌ يُضمّخُ مهجتي   وأنا النسيمُ مُطهّرُ الأرجاءِ
وكأنها طَلٌّ يغيثُ حشاشتي   وأنا البنفسجُ في الربى القحلاءِ
وكأنها جمرٌ يُحرّقُ مَعدِني   ويحيلني رُوحاً مِنَ العلياءِ
وكأنها كلُّ الحياةِ تدبُّ في   جسَدي دبيبَ النورِ في الظلماءِ



لا بد من حل

الفن . الخبز . الروح

[والرجاء فى معالى وزير المعارف الفنان الكبير « الدكتور هيكل باشا »]

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يذكر القراء أن مدرسة الفنون الجميلة العليا تورطت فى العام الماضى مع نفسها تورطاً عجيباً إذ حكمت على طلبة قسم النحت فيها بأن يرسبوا جميعاً وأن يعيد كل منهم دراسته فى سنته نفسها

ويذكر القراء أن إشاعات كثيرة راجت حول هذا التورط العجيب ، كما يذكر القراء أن الرسالة تناولت هذا الحادث الخارق للمادة بكلمة حدث على أثرها — ولا نقول بتأثيرها — أن نقل الدكتور ناجى مدير المدرسة السابق منها ، وأن عهد بإدارة المدرسة للأستاذ محمد حسن المراقب المساعد للفنون الجميلة بوزارة المعارف

والأستاذ محمد حسن رجل له خطط يرسمها وينفذها مستعيناً عليها بجماعة من أساتذة الفنون فى مدرستى الفنون الجميلة العليا والفنون التطبيقية . وهم كلهم من الشبان المتطلعين إلى فوق ، والذين يؤمنون بأنه قد آن للمصرى الفنان — كما آن لكل مصرى — أن يزيح عن مناصب الحكومة وعن ميادين الأعمال الحرة أيضاً كل أجنبى دخيل جاء إلى مصر ليربح المال ، وليجمع المال ، وليكسب المال

وأنا وإن كنت بعيداً عن كل تعصب ، وإن كنت أكره التفريق بين الناس لأى سبب من الأسباب ، فإنى لا أملك أن أصد الأستاذ محمد حسن عن المضى فى اتجاهه ، لأنه قد تم له فعلاً التخلص من كل الأساتذة الأجانب فى مدرسة الفنون الجميلة ، وقد أحل بدلاً منهم فعلاً فريقاً من الأساتذة الشبان المصريين ، وهؤلاء هم الذين نرجو اليوم على أيديهم الخير للمدرسة ، والله الموفق .

وكما دبر الأستاذ محمد حسن مسألة الأساتذة على هذا النحو الذى ارتآه ، فقد فكر أيضاً فى مسألة الطلبة والمتخرجين ، ورسم لهم هم أيضاً خطة قال لى إنه عرضها على معالى الدكتور هيكل باشا فى وزارته السابقة ، كما قال لى إن معاليه وافق عليها ، ورصد لها مبلغاً من المال ليبدأ تنفيذها به ، ثم حلت الظروف القاسية التى نعانيها اليوم فبطل الإنفاق وبطل التنفيذ .

وهذه الخطة هى موضوع حديثنا اليوم ، لأننا لا نزال نرى أن هذه الظروف القاسية لا يمكن أن تكون حائلاً دون تنفيذها ، بل إننا نرى أن هذه الظروف القاسية نفسها دافع قوى يحفزنا إلى التعجيل بها

تخرج مدرسة الفنون الجميلة العليا كل عام جماعة من الشبان الفنانين ، بعضهم يلتحق بوظائف الحكومة ، وبعضهم يظل يسعى وراء وظائف الحكومة إلى أن يلتحق بها ، لأنه لا سوق للفن فى مصر

فإذا كانت الحكومة تنوى أن تستبقى مدرسة الفنون الجميلة العليا مفتوحة للطلاب تستقبلهم وتخرجهم ، فإن عليها أن تفكر فى أمرهم ، فهى المسئولة عنهم ، كما أنها المسئولة عن كل عبد من عباد الله الذين تتولى أمورهم

ونحن لا نجرؤ على مطالبة الحكومة بتوظيف كل متخرج من هذه المدرسة ، فنحن نعرف أن وظائف الحكومة محدودة ، وأن الحكومة متخمة بالموظفين ، كما أننا نعرف أن الفن لا يحيا مرتاحاً ، ولا ينمو مزدهراً فى الدواوين والمصالح

فالباقى على الحكومة أن تفكر فيه إذن ، هو أن تنشئ للفن فى مصر سوقاً ، أو أسواقاً ؛ فإذا هى فعلت ذلك ، تفتحت أبواب الحياة أمام الفنانين ، وتفتحت عيون الناس على الفنون ، وتابع الجمهور الحكومة فى الاهتمام بالفن وفى الإقبال عليه

وإذا كانت الحكومة قد آمنت بأن التمثيل فن جدير بالرعاية والتشجيع لما يهذب النفوس ويرقيها ، فأنشأت الفرقة القومية ، وفتحت بها للممثلين باباً مطمئناً من أبواب الرزق ، وإذا كانت الحكومة قد آمنت بأن الغناء والموسيقى فنان جديران بالرعاية والتشجيع لما يصقلان النفوس ويرفهان عنها ، فرعت محطة الإذاعة ، ورصدت لها إعانة سنوية تنفق على المغنين والمطربين ،

وتضمن لهم باباً مطمئناً من أبواب الرزق أيضاً ، فإن على الحكومة كذلك أن تؤمن بأن النحت والتصوير فنان لهما أثرهما في النفوس كغيرهما من الفنون ، وعليها بعد ذلك أن تفتح للنحاتين والمصورين الذين تربيهم باباً مطمئناً من أبواب الرزق كما فعلت ذلك مع غيرهم

فما هي هذه السوق التي تستطيع الحكومة أن تنشئها للنحاتين والمصورين ؟

« المتاحف » ، فهي أول ما يرد إلى الذهن ، ولكن التجربة أثبتت أن الجمهور المصري منصرف عن المتاحف انصرافاً تاماً ، وأن كل ما ينفق عليها عبث لا يجدي ولا يعود بالنفع ، فهي بعيدة عن الجمهور ، لا يقصد إليها أحد ، ولا يستمتع بها أحد ، ولا يتأثر بها أحد . والذي نريده نحن أن نضع الفن تحت أعين الناس حتى يروه ويتأثروا به ، ثم يحبوه ، ويقبلوا عليه

وقد ألهم الله الأستاذ محمد حسن فكرة ضمنها تقريره الذي رفعه لمعالي الدكتور هيكل باشا فوافق عليه ولكنه توقف عنه للأزمة الطارئة ...

وتلك الفكرة هي أن تقرر الحكومة تزيين معاهدها ودورها العامة ، وحدائقها ومتنزهاتها ، وشوارعها وميادينها بالصور والتماثيل ...

وتستطيع الحكومة أن توفر آلاف الجنيهات من ثمن السجاجيد التي تفرشها على الأرض في دورها ومعاهدها ، وأن تعطي هذه الآلاف للفنانين المصريين الذين يشكون اليوم أزمة البوار بينما اليوم هو يومهم الذي تلطب البلاد فيه نفثات أرواحهم

ومعالي الدكتور هيكل باشا أول من يعرف أن نفوس الجماهير لا يؤثر فيها شيء مثلما يؤثر فيها الفن ، وأنه لا يملؤها عزماً وحباً للحياة إلا الفن ، وإني أخجل من التحدث إليه في هذا الموضوع لأني واحد من أبنائه فيه ، فقد تعلمت من كتابته كما تعلم غيري أن تباشير النهضات دائماً لا تكون إلا فنوناً يتلوها العلم ، ثم يتلوه العمل

فإذا قيل لنا إن الظروف القاسية التي نعانيها اليوم تمنعنا من التبذير ومن الإنفاق على الفنون الجميلة في الوقت الذي تحتاج فيه إلى الإنفاق على ما هو أهم منها وأكثر ضرورة ووجوباً في هذه الظروف ، قلنا إنه لا شيء أهم من الفن في هذه الظروف ولا شيء أكثر منه ضرورة ولا شيء أكثر منه وجوباً

وإن نظرة واحدة نلقيها على الدول المتصارعة في العالم اليوم تثبت هذا الذي ندعيه ، فألمانيا وإيطاليا استمانتا بالفنون على تهييج شعبيهما ، فما في برلين ولا في روما ميدان إلا وفيه تمثال ، وما في برلين ولا في روما شارع إلا وفيه صور وخرائط ورموز تشعل الحقد والغرور في نفوس الناظرين إليها من أهلها ، وإن بريطانيا العظمى اليوم لتستعين بالأدباء والخطباء على إثبات حقها في الدفاع عن الديمقراطية التي تتحدى بها الديكتاتورية وتناصرها عليها . وكل من ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا العظمى تنفق على التصوير والنحت والأدب والخطابة ملايين الجنيهات غير آسفة ، لأنها تعرف أن هذه الفنون غذاء لازم للأرواح لا تستطيع الأرواح الإقبال على الكفاح أو الثبوت فيه إلا إذا شبعت وارتوت منها . وإذا كانت هذه الدول تؤمن بفوائد الفنون هذه الإيمان ، وإذا كانت هذه الفنون قد أحدثت في هذه الدول هذه الآثار التي نراها من اختبال العقل في الألمان والطليان والصبر الجبار عند البريطان ، فإنه جدير بنا أن نهرع إلى هذه الفنون لنشبع أنفسنا ونرويها منها ، فلسنا نعيش في دنيا غير الدنيا التي تعيش فيها هذه الدول ، وإنما نحن في مركز الدائرة ، وإذا نحن فوتنا هذه الفرصة وقعدنا فيها عن استغلال الفنون في إثارة الروح الوطنية في نفوس المصريين ، فإننا قد لا نحتاج بعد اليوم إلى الفن يحيينا ، لأننا قد نحتاج بعد اليوم إلى أدوية وضروب أخرى من العلاج

هذه الظروف القاسية إذن هي أنسب الظروف لإنعاش الفنون الجميلة وإحيائها وتفتيح الأسواق للفنانين ، وتستطيع الحكومة أن تبدأ منذ اليوم بإنشاء مكتب جديد في وزارة المعارف لشراء الصور والتماثيل من الفنانين لتوزيعها على الدور العامة والمعاهد الحكومية والميادين والمتنزهات والشوارع ، وأظن أن تاريخنا الطويل مملوء بالموضوعات الوطنية الجبارة التي تفعل في النفوس فعل السحر ، كما أظن أنه كان من آبائنا وأجدادنا أبطال من حقهم علينا ، ومن حقنا على أنفسنا أن نخلد صورهم أمام أعيننا لننظر إليها دائماً ولنستقي من معانيها آيات المجد والحرية والإيمان .

ولعله مما يضيق به صدر الحق والفن أن تكون كليات الأزهر خالية من تماثيل أبطال الأزهر وصورهم ، وأن تكون الكلية الحربية خالية من صور زيتية تخلد البطولات المصرية

والانتصارات المصرية فى تاريخنا القديم وفى تاريخنا الجديد ، وأن تكون كليات الجامعة خالية من تماثيل رجال العلم ورجال الأدب المصريين والأجانب الذين لا نزال نتتلمذ عليهم ونأخذ عنهم ، وأن تكون دار البرلمان المصرى مزدانة بصور فوتغرافية ملونة صنعتها آلات جامدة فهى لا تجسد للعين ولا للقلب المزايا التى استحق أصحاب هذه الصور أن يحتفظ البرلمان المصرى بصورهم لها وأن يزين جدرانها بها من أجلها . ولعله مما يزور عنه الذوق أن تكون دور الأوبرا المصرية خالية من صورة أو تمثال لسيد درويش وسلامة حجازى ، وعبده الحامولى ، ومحمد عثمان وغيرهم من الفنانين المصريين ... ولعل ... ولعل ... ولست أريد أن أمضى فى تمداد نواحى النقص هذه البارزة فى حياتنا فنحن نعرفها ، وليس فينا من يجهلها ... والذى يهمنا اليوم هو أن نبدأ بعلاجها لأننا قد شبعنا كلاماً فيها

بقيت بعد ذلك فكرة طريفة ، قال لى الأستاذ محمد حسن : إن بعض الدول فى أوربا تنفذها بالفعل ، وهى أنها تلزم أصحاب العمارات والبنايات الكبيرة بأن يخصصوا اثنين فى المائة على الأقل من تكاليف بناياتهم وعماراتهم بزخرفة هذه العمارات والبنايات وتزيينها بالرسوم والتماثيل والصور . ولا شك أن تنفيذ هذه الفكرة يفتح الميدان واسعاً جداً أمام الفنانين ، وهو فى الوقت نفسه لا يضر أصحاب العمارات والبنايات فى شىء

***

والآن : الطريق أمامنا ممهدة معبدة . ونحن إذا آمنا بفائدة الفن وفعله فى النفوس وأردنا أن نستغله لترقية أنفسنا فإننا من غير شك سنجد أنفسنا حيال أزمة هى عكس الأزمة التى نشكو منها اليوم ... فنحن اليوم نبحث عن عمل للفنانين . ولكننا عند ما نبدأ بتنفيذ هذه الفكرة سنجد أنفسنا مشغولين بالبحث عن الفنانين لكثرة العمل

وعلينا أن نذكر أخيراً أن الحكومة إذا بدأت بتقدير الفن والفنانين المصريين ، فإن كثيرين من عظمائنا وأغنيائنا وفقرائنا سيتبعونها فى هذا التقدير ، لأننا شعب تعود أن يتأثر « الميرى » دائماً . ويا حبذا أن نتأثر « الميرى » فى الخير

عزيز أحمد فهمى



قصة الفيتامين

الأستاذ عبد اللطيف حسن الشامي

— ٣ —

عاد البحث ثانياً عن « الفيتامينات » عقب سنى الحرب فى سنة ١٩١٩، بعد ما انطفأت شعلة الحرب واتجهت الإنسانية تسعى وجهة علمية مدنية، وعاد شغف البحاثين وولع العلماء فى جميع المعامل بمتابعة التوسع فى دراسة مبهمات هذه المادة الغذائية اللازمة للحياة، والتى دلت عن طريق التجارب الغذائية على وجودها فى كثير من الأطعمة مثل الخميرة والزبدة وكبد الحوت والبيض والقشدة وبذور الحبوب والكرنب والكرنبيت والخس والطماطم وغيرها، كما اتضح أنه يستحيل نسبتها جميعاً إلى أصل مادة واحدة، فهى إذن تنتمى إلى مجموعات عضوية مركبة مختلفة التركيب.

ومن المشاهد أنه فى حالة غياب أى نوع واحد من الطعام يحمل الفيتامين تظهر أعراض مرضية تختلف عن تلك التى تظهر عادة عند نقصان نوع ما من الغذاء. فالحالة الأخيرة تتلاشى فيها الأعراض عند إكمال النقص بعكس الحالة الأولى التى تستدعى لزوال أعراضها مصادر عديدة مختلفة من الفيتامينات

وبتوالى استنباط وتجديد تراكيب غذائية مختلفة لا توجد فيها الفيتامينات إما من الأصل أو سُلبت منها قسراً، وإجراء هذه التراكيب على الحيوانات كالفيران، وملاحظة ما يطرأ من الأعراض وبجد، ثم معالجة هذه الأعراض بالدقة والترتيب اللازمين، وذلك باجتناب المواد المسببة لتلك الأعراض. من تلك المشاهدات، ومع ما تستوجبه من الحرص والكفاية أمكن العثور بادئ ذى بدء على أربعة أنواع من الفيتامينات. ومع ضياع كل الجهود التى ذهبت حينذاك هباء للتدليل على الفيتامينات من الناحية الكيميائية، أو لتكييفها طبيعياً، فقد وضحت طريقها ووضعت لهذه المواد الحيوية المبهمة غير المحدودة المعالم الرموز: A, B, C, D.

لم يثن هذا من عزم الباحثين ولم يقف الجمود أمام سر تركيب الفيتامينات حجر عثرة فى طريق البحث والتطلع من الستار الحاجبة أخذت تهتك وتشف، وأخذ فى تطبيق النتائج التى وُصل إليها عن طريق تغذية الحيوان — على الإنسان. وقد أدى هذا إلى معرفة وتشخيص كثير من الأمراض كانت مجهولة الأسباب حينذاك مثل: البرى برى والأسخربوط والبلاجرا (الطفح الجلدى اللومباردى — نسبة إلى لومبارديا فى إيطاليا) والراخيتيس فعُرِّفت بعدئذ بأمراض نقص الفيتامين أو الفيتامينوزات

وكان من أثر هذه النتائج وشيوعها، واستغلال بعض الصناعيين لها فى ترويج مستحضراتهم بعد ما عرف أن الأمراض سابقة الذكر غير مستعصية العلاج — أن ظهر ما سُمِّى حينذاك « بشبح الفيتامين » أو « حمى الفيتامينات » الذى يُذكِّر من جديد « بشبح البكتريا » لعشرين سنة خالية قبل هذا التاريخ إذ قيل عند اكتشافها بأن كائنات دقيقة حية هى التى تنقل المرض وتسبب العدوى، لذا وجب الإغلاء والتعقيم كى تموت هذه المسببات، بينما قيل العكس فى الحالة الجديدة التى يشار فيها بعدم الإغلاء أو الطهى إن أمكن حتى لا تؤذى الفيتامينات أو تتعرض حيويتها للهلاك

وقد أدى هذا إلى كثير من الخلط والالتباس، تعرضت له حالة الفيتامين الجديدة إبان نشوئها إلى كثير من الشبهة، وليس فقط فى مستهلها بل وفى أثناء إتمام بحثها مما سنراه

ولقد أسىء كثيراً إلى كلمة الفيتامين نظراً لاستعمالها فى أوضاع خاطئة ولتشعب النواحى والأفكار بخصوص ما ينتظر منها ومن أثرها ومدى عملها فى منع أو شفاء كثير من الأمراض، ومع هذا فقد بلغ علم دراسة الفيتامينات شوطاً كبيراً فى السنين الأخيرة حتى يومنا هذا — شوطاً ذا أهمية عملية بالنسبة لحياة الإنسان اليومية، مما لا يمكن أبداً الإقلال من قيمته بل على العكس إكباره وتقديره. وليس هذا فقط لما جدّ من اكتشاف أنواع أخرى من الفيتامين ولا لما عرف من عديد

الأمراض التى كانت مجهولة الأسباب فأضحت أسبابها بيّنة ممكنة العلاج ولا لما أمكن تحضيره من هذه الفيتامينات صناعياً وما يجرى العمل لإتمام تحضيره ، بل لقد تهيأت الأسباب حديثاً لمعرفة طبيعة الفيتامين ومهمتها وعملها فى الجسم وقصرُ ما بين حجابها وبين الإنسان

وإذا ما أردنا بكلمات قليلة أن نحصر أو نعرف أهم ما عرف عنها إلى اليوم وجدنا أن الفيتامينات عبارة عن مجموعات أو مخلوطات عضوية مختلفة التركيب هى نتيجة تطورات (تعقيد) لعوامل مساعدة فى التمثيل (التحول الغذائى) وعليه تكون الحاجة إلى وجود الفيتامين فى الخلية الحية من أوجب الضرورات. وبما أن الفيتامينات قد وجدت فى أصل البحث فى النبات فيغلب على الظن أنها تقوم فيها مقام المواد الفعالة (الهرمونات) فى جسم الإنسان والحيوان ، كما وجد أن بعض النباتات قد تصيبها بعض أمراض نقص الفيتامين وهذا ما وصل إليه حديثاً العالم النباتى بورجيف Burgeff إذا أثبت أن نبات Orchidecnsamen يموت تدريجياً إذا لم يحصل أثناء نموه على الفيتامين (ب) عن طريق نبات فطرى يعيش عليه معيشة المحادثة وذلك لأن النبات نفسه غير قادر ولا مهيأ لعمل الفيتامين . وكما أن الفيتامينات ضرورية جداً فى جسم الإنسان والحيوان ولا معدى عن وجودها فيه فهى كذلك (ضرورية) حتى عند الحيوانات الدنيئة — فقد تصيب الحشرات مثل الصراصير (صراصير المطبخ) والنحل وبرقة السوس أمراض نقص الفيتامينات

يجب إذن تموين جسم الإنسان والحيوان دائماً بتلك المواد الحيوية ، إما بفيتامينات كاملة أو أولية التركيب « بروفيتامين » وذلك لتسهيل عمل الخلية الحية أو مجموعة الخلايا وبالتالى لتنظيم سير الجهاز الحيوى (دورة الحياة) ، وتكفى منها كميات صغيرة جداً وتعتبر كمصادر قوة أو كمواد البناء أو التشغيل فى عملية التمثيل الغذائى وقد تعمل بين بعضها وبعض بطريق التبادل أو يحتل جزئيًّا بعضها أماكن بعض كمساعدة أو مسببة للأدوار المعقدة التى تقوم بها الخلية فى عملية التمثيل

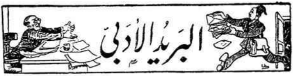
فكما أن أى رئيس لأية فرقة موسيقية لا يشترك كباقى الأفراد فى إدماج أو إدخال أى صوت آلى من عنده له أثرما فى النغم أو اللحن النهائى ولكنه كمشجع أو مهدىء أو ضابط للايقاع أو موجه للعمل الآلى لبقية الموسيقيين فكذلك يمكن تشبيه الفيتامينات بضابط للايقاع فى فرقة متنوعة الأصوات، هى تشبه فى مجموعها وعملها التداخل بعضه فى بعض التفاعلات الكيميائية فى الجسم ؛ فإذا انعدمت هذه القوة الدافعية المشجعة تداعت بالتالى القوات الأخرى أو ثبطت همتها أو تراخت ثم يقف التعاون بينها ويضطرب التجانس ، ثم لا يلبث أن يظهر هنا وهناك أمراض تسترعى الانتباه

وفى سبيل معرفة ميكانيكية أو تاكتيك المهام الدقيقة التى تقوم بها الفيتامينات بدأ العلم يجنى أول ثمار بحثه وجهوده لاسيما بعد أن أصبح من المحقق الثابت أن عمل الفيتامين فى الصميم يستقر هناك وراء كل دور أو عمل حيوى ، فهو بهذا هناك حيث تجرى عملية تحويل المواد فى الخلية أى حيث يكمن سر الحياة

ويقوم عمل الفيتامين فى الخليـة على ثلاثة أمور : أولها تأثير تلك المواد الحيوية فى شكل وصفات الخلية — فى نموها وفى بنائها وتكاثرها وتجددها . وثانياً تأثيرها فى قوة أسطح وجدر الخلية مما يفرق مسامية وشعرية (نفاذية) بعض الخلايا عن بعضها كالحال فى خلايا الأمعاء الماصة . وأخيراً وأهم أمر — هو قيادة وتوجيه التحليل الغذائى فى الخلية ، كما تعمل على ترتيب تنفس الخلية ومباشرة تحويل المواد نتيجة الاحتراق إلى حامض كربونيك وماء فى الخلية مستخدمة فى ذلك ذرات دقيقة من المعادن الثقيلة كالحديد والنحاس والمنجان وغيرها كوقود لتدفئة وتسخين أفران الاحتراق — ويتعين على كل نوع من الفيتامين بدوره تقديم مساعدته الخاصة به فى الجهة الخاصة من الخلية للمساهمة فى ناتج العمل الحيوى الكبير ، ولكنه لم يتهيأ للآن إكمال هذه النقطة الأخيرة بحثاً وقد يقف بعض الفيتامينات والهرمونات قريباً من بعض فى التعاون والعمل لدرجة يصعب معها أحياناً تمييز بعض أمراض نقص الفيتامين عن الاضطرابات الهرمونية

وكما تعمل المواد البوتينية فى الغدد الفارزة كذلك لا يعدو عمل الفيتامين أن يدير أو ينظم التحويلات الغذائية المعقدة التى ترتكز عليها سير ونظام الحياة ؛ ولبلوغ مهمتها هذه حد الضبط والإنجاز هيأت الطبيعة ترتيبات وممدات عظيمة ما زال الإنسان يتخيلها ويضرب فى التعرف عليها .

وليس للفيتامينات ككميات مجتمعة (متكورة) أى تأثير ، ولكنه — لكى تقوم بعملها — يجب أن تكون دقائق منتشرة فى كل تيارات العصارة ؛ ولكن إذا بلغت هذه الدقائق مبلغاً متناهياً



سؤال وجواب !

توهم أحد القراء أنى وقعت فى غلطة إعرابية مكشوفة بنصب كلة « سجية » فى هذا البيت :

فلا تحسبوا هندًا لها الغدر وحدها
سجية نفس ، كل غانية هنـدُ

ولو كان هذا القارئُ يعرف أنى فى الإنشاء أسرع من أقدر الناسخين ، لفهم أن من الجائز أن يندّ القلم فيرسم الضمة فتحة أو بالعكس ، على فرض أن ما وقع لم يكن غلطة مطبعية

وإنى أوجّه الأسئلة الآتية إلى ذلك القارئ المُتحذلق :

أولاً : مَن قائل هذا البيت ؟

ثانياً : مِن أى شاعر سُرق هذا البيت ؟

ثالثاً : من هم النقاد الذين نصوا على أن هذا البيت مسروق ؟

رابعاً : ورد هذا البيت فى رسالة لأحد كتّاب الأندلس ، فمن هو ذلك الكاتب ؟

خامساً : فى هذا البيت دقيقة نحوية ودقيقة بلاغية ، فما هاتان الدقيقتان ؟

سادساً : فى هذا البيت كلمةٌ اختلفت فيها الروايات ، فما هى تلك الكلمة ؟ وما هو الكتاب الذى نص على ذلك الاختلاف ؟

سابعاً : أخطأ أحد الخطباء المشاهير فى هذا البيت، فجعل « الصدّ » مكان « الغدر » ، فمن هو ذلك الخطيب ؟ ومن هو الناقد الذى استدرك عليه ؟ وفى أى مجلة نشر ذلك الاستدراك ؟

ثامناً : نقل أحد الصوفية هذا البيت إلى معنًى من المعانى الروحية ، فمن هو ذلك الصوفى ؟ وفى أى بلد طُبع كتابه أول مرة ؟ وما اسم ذلك الكتاب ؟

تاسعاً : لو قال قائل : إن نصب « سجية » هو الصواب ، فما وجهه عندك ؟ وما نظائره فى كتب العربية ؟ وما وجه الإشكال فيه على التدقيق ؟

عاشراً : هل تعرف الشاعر الذى يقول :

وابنُ اللّبون إذا ما لُزّ فى قَرَنٍ
لم يستطع صولة البُزْل القناعيس

هذه عشرة أسئلة ، فيها ما تعرف ، وفيها ما تجهل ، وفيها ما تذُوق . فإن أجبت فلك الحق فى أن أشير إلى اسمك بعبارة كريمة ، وإن سكتَّ فعذرُك مقبول ، لأنك بالتأكيد من أبناء الجيل الجديد، وهم مَن أعرف وتعرف فى قلة الصبر على متاعب الجهاد

وإليك التحية من الباحث الذى يرجو ألا تضطره إلى التكبر والازدهاء ، والذى يوَدّ أن تذكره بالخير حين تخرج بعافية من هذه الرياضة الذهنية

زكى مبارك

فى الدقة والصغر تراجع تأثيرها . ولتشبيه هذا العمل نتمثل لعبة من لعب الأطفال تتكون من كور ذات أحجام مختلفة تقابلها حفر (فتحات) معينة ذات اتساع كاتساع الكرات ولكن تضيق عنها قليلاً ، ثم زد على الكرات الأصلية كرات أخرى أكبر منها وأخرى أصغر منها ، فالكور الكبيرة لا تدخل الفتحات ولا تستقر فيها ، والصغيرة تنفذ فيها ولا تستقر كذلك، والكور ذات الحجم الخاص هى التى تستقر وتملأ مواضعها . ولهذا قامت الطبيعة تبعاً لاختلاف انقسام جزئيات الكلوريد بعمل طريقة فذة لتنظيم سرعة الوظائف والأدوار الحيوية، وهذا من أهم ما تم معرفته للآن عن التأثير الميكانيكى الدقيق للفيتامينات

وتبعاً لنداء فيتامين ما — سرعان ما تلبى النداء الخلايا التى فى انتظار تثييرات هامة يجب حدوثها فيها . وهكذا يتعين بحضور الفيتامين فى خلايا الجسم قيام الوظائف الحيوية التى منها : اطراد النمو، المناعة ضد الأمراض الناقلة وغيرها، بناء العظام، منع النزيف الدموى ، حفظ نشاط مركز الجهاز العصبى ، قوة التوالد والنسل

ويبلغ عدد الفيتامينات التى عرفت للآن أو على الأقل عرفت مصادرها ومدى عملها وتأثيرها أربعة عشر فيتاميناً، وهذا فى مدى ربع قرن من الزمان ، وسنكتفى هنا بالفيتامينات الهامة ذات الأثر الفعال فى حياة الإنسان وهى المواد الحيوية A, B, C, D, E ، ونبدأ أولاً بالفيتامين الذى كان سبباً فى البحث وراء المواد الشافية الموجودة فى الغذاء ، وبه بُدىء درس هـذه المواد الحيوية ، ألا وهو الفيتامين B.

« يتبع »

عبد اللطيف حسنى الشامى
مهندس

وفاة أمين الريحاني

نعت أخبار « بيروت » الكاتب الفيلسوف الأستاذ « أمين الريحاني » . قضى أجله بالفريكة ، بعد أن طوّف في بلاد الشرق والغرب ، واستخدم قلميه العربي والإنجليزي في التعريف بملوك العرب وآدابهم ، وله في ذلك آثار باقية . وهو أحد ثلاثة أقاموا الأدب اللبناني المعاصر على أسس جديدة من الفن الحديث : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وهو . ومن أشهر مؤلفاته «ملوك العرب» في ثلاثة مجلدات بالعربية والإنجليزية ، و «تاريخ نجد الحديث» ، و « كتاب المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية » ، و « كتاب الريحانيات» في أربعة أجزاء ، ضمنه مقالاته وخطبه ورسائله عن الثورة الفرنسية ، و « المكاري والكاهن » وديوان شعر سماه «سبيل الرؤيا» وليس من شك في أن رجلاً كأمين الريحاني لا يستطيع الموت أن يحجب عن الناس منه غير وجهه ، ولكن آثاره الخالدة ستنشره في الوجود كتاباً تقرأه الأجيال ، فترى فيه مثلاً رائعاً للجهاد الصادق ، والفكر السليم ، والأدب اللباب .

ثقافة الدكتور أدهم

إنّ نوع الأسئلة التي طرحها الأديب ابراهيم حسنين البريدي مما يُباح في حياة الأفراد ليدافعوا عن أنفسهم بأنفسهم ، ولكنه مما لا يُباح إطلاقاً في أي أمة راقية بعد وفاتهم وقد عجزوا عن البيان والدفاع . ولا أدري أين كان صاحبنا الفاضل هذه السنوات التي ملأت فيها بحوثُ أدهم ونقداته ونقاشه أشهرَ الصحف والمجلات؟!

وواضحٌ مما ذكره أحد الأدباء المعروفين الدكتور أبو شادي وردّده « الرسالة » الغراء أنه لم يفته في حياة أدهم تبليغ القنصلية التركية في الأسكندرية عنه ، بل تبليغ النيابة كذلك ، فكان ردّ الفعل الوحيد لذلك زيادة تقديره وحمايته

والأسئلة التي ردّدها أديبنا « البريدي » ، أجاب عليها سلفاً في كتاباته المرحوم الدكتور أدهم نفسه ، فهو أولى بالرجوع إليه والاعتماد عليه ، إلا إذا كان الغرض إثارة الغبار حول الميت ودعوة أخي الفقيد للمساهمة عن غير وعي في ذلك !

وإنّ لمن العجيب أن يقال : إنّ الفقيد لم يكن يعرف الألمانية ولا الروسية ، وقد كانتا بين وسائل مَراجعه كما يعلم كل من اختلط به وعرفه من أصدقائه الأدباء؛ ولو قيل : إنه لم يكن واسع التضلع في الأخيرة ، لكان هذا معقولاً . كذلك من العجائب أن يقال: إن كتاب « لماذا أنا ملحدٌ؟ » مترجمٌ . مع أن ثلاثة أرباعه ذات صلات شخصية ، وقد انتقده بشدة الدكتور أبو شادي في كتاب عنوانه « لماذا أنا مؤمن ؟ » ، فردّ عليه الفقيد ردّاً مطولاً بليغاً . فهل كان ناقلاً ذلك الردّ عن لغة أجنبية أيضاً ؟ ! يا سبحانَ الله ! أمحارَبٌ العبقرية في بلادنا إلى هذه الدرجة ؟ !

ليقلْ الشانئون والحاسدون في هذا الألمعي الفذّ ما طاب لهم أن يقولوا، فإنّ العبقرية غريبةٌ دائماً في هذا الشرق، وقد اعتدنا جميعاً ذلك، ولكنّ العديدين الذين حضروا مجالس أدهم ومحاضراته شهودٌ أحياء على ذكائه النادر وثقافته المدهشة البعيدة عن كل ادعاء، وآثاره التي ستُطبع ـ بالرغم مما ضاع منها ـ شهودٌ عدولٌ . (مؤرخ)

حول مقال « أضرار التشجيع »

قرأت في عدد مضى من الرسالة الغراء للسيد سعيد الأفغاني مقالة عنوانها « أضرار التشجيع » حمل فيها حملة طائشة على ملأها كلمات كان ينبغي أن ينزه لسانه عنها ، وما كنت أبيح لنفسي أن أهبط للرد عليه لولا أنه تعرض لكتاب « سر الصناعة » الذي أريد نشره والذي يشهد أستاذي الجليل ابراهيم مصطفى أنني كنت عاكفاً على دراسته وتصحيحه عن نسخة دار الكتب المصرية منذ عام ١٩٣٢ حينما كنت أقرأ عليه العربية في كلية الآداب . ولما أتممت دراستي في مصر ورجعت إلى الشام ظفرت في المكتبة الظاهرية بنسخة ناقصة الجزء الثالث ولكنها جيدة الخط مضبوطة فاستنسختها ، ثم أردت مقابلتها على الأصل فاستعنت بالأفغاني في ثلاث أو أربع جلسات في الغرفة التي كان يجلس فيها الأستاذ فوزي العاني أحد موظفي المكتبة، فكنت أقرأ عليه من المستنسخة وهو يقابل ذلك على الأصل، ولما اعتذر عن العمل طلبت من الأستاذ العاني أن يتم العمل في أوقات فراغه ففعل وله الشكر . ثم ذهبت إلى باريس فقابلت نسختي على نسخة المكتبة الوطنية فيها ، وكان يعينني في ذلك الأستاذ الأديب عبد الوهاب حومد ، ثم عدت إلى الشام وفي نيتي الذهاب إلى استنبول للمقابلة أيضاً، ولكن الظروف الحاضرة منعتني من السفر وأنا أرجو الله أن تزول هذه العقبات حتى أذهب فأتم الكتاب الذي عاهدت الله أن أخرجه خير إخراج ممكن

هذا تاريخ قصة «سر الصناعة» ، فما هي دعوى السيد سعيد؟ إنه يزعم أنني قرأت الكتاب كله أو أكثره عليه ، وأنه أملى عليّ تعليقات وشروحاً من فيض خاطره فثبتها ... الخ ما جاء في مقال الأديب الأفغاني . وردي على ذلك منحصر في النقاط الآتية :

١ — ليس فى النسخة المراد نشرها تعليقات ولا شروح، وإنما فيها ذكر لما فى النسخ (نسخ باريس ومصر ودمشق واستنبول) من اختلاف ليس غير

٢ — شهادة الأستاذ المانى التى أداها بمحضر من الأساتذة يوسف العش محافظ المكتبة، ويس الخانجى أمين سر المجمع العلمى، والمحامى طاهر خياط. وهى تؤيد ما قلت من أن اجتماعى بالسيد سعيد لم يتجاوز ثلاث أو أربع جلسات، وأنه هو - أى المانى - الذى أتم المقابلة

٣ — تخلفه عن الحضور إلى الاجتماع الذى دعانا إليه الأستاذ الكبير خليل بك مردم لبحث القضية والتحقيق فيها

هذا ما أقوله وهذا ما أريد أن يطلع الناس عليه ليروا ضرباً من خلقنا العلمى والاجتماعى. وأنا أسأل الله أن يلهمنا الأدب ويوفقنى إلى نشر الكتاب

أسعد طلس

خريج الجامعة المصرية ودكتور فى الآداب

إكمال بيت فى المخصص وتصحيح إحدى حواشيه

إن من شرائط نشر المخطوطات اقتناء الناشر لما يستطيع جمعه من نسخ الكتاب مخطوطة ومصورة واتخاذ أصح نسخة منها قطباً يرجع بسائر النسخ إليه ويديرها عليه بالعرض والمقابلة وقد لا يوجد من هذا الكتاب إلا مخطوطة واحدة. فإن كانت صحيحة مضبوطة بقراءة العلماء ومعارضتها بالأصل، وكان الخط جلياً متقناً، عدّ ذلك من بركة النسخة ويمن طائر الناشر، وقد تكون بذلك أصح من المنشورة بعد المعارضة على كثير من المخطوطات غير المضبوطات، ومن أشباه هذه النسخ الوحيدة المخدومة كتاب (المثنى والإبدال) لأبى الطيب اللغوى صاحب مراتب النحويين، وصديق أبى الطيب المتنبى، وتلميذ الإمام المطرزى غلام ثعلب؛ فإنى قد ظفرت بدمشق فى مكتبة العلامة أبى اليسر عابدين (حفيد صاحب حاشية ابن عابدين المشهورة) بنسخة تغلب عليها الصحة، وعلمت بعد طول البحث والتنقيب أنها يتيمة فى العالم فلم أتمكن من مقابلتها على مخطوطات أخرى، وإنما هوّن علىّ خطب نشرها غلبة الصحة كما ذكرت عليها، وسأصفها وصفاً علمياً ببحث خاص فى مجلتنا هذه الممتعة قريباً

أما مخطوطة المخصص لابن سيده المعروف بصاحب المحكم فإنها تشبه مخطوطة المثنى بكونها وحيدة يتيمة، ولكنها «قد ركض فيها البلى ولعب، وأكل منها الزمان وشرب، حتى أبلى ثوبها القشيب وأذوى غصنها الرطيب» — كما ذكر ذلك الأستاذ طه محمود رئيس التصحيح بدار الطباعة الأميرية فى خاتمة المخصص؛ وبذا كثر فى المطبوعة البياض والنقص والتصحيف، ولولا مرجع اللغة والأدب فى عصره محمد محمود التركزى الشنقيطى وجميل عنايته بالمخطوطة لكثرت أغلاطها واستشرى فسادها، ولكنها مع ذلك لم تخل من نقص، والكمال الربانى معوز، فوقعت فى المتن والحواشى الشنقيطية أغلاط لا يحسن السكوت عليها ولا سيما فى أصول اللغة، مثال ذلك ما جاء فى السفر العاشر من المخصص (ص ١٦٧ س ٤)، وما نصه ورسمه:

(١) وكنا ما اعتفت   طلاب الترات مطلب

فقد علّق عليه إمامنا الشنقيطىّ رحمه الله التعليقة التالية بنصها:

(١) قوله: (وكنا ما اعتفت) هكذا وقع فى الأصل، وهى عبارة لا يدرى أهى شعر أم نثر، وليس لها معنى، وقوله (طلاب الترات مطلب) هو بعض بيت من الطويل ورد فى قول الخنساء:

تطير حوالىّ البلادُ براقشاً   بأروعَ طلابِ الترات مطلّب

والشاهد فى (براقش)، لأن من معانيه الأرض المجدبة الخلاء، ولكنه ضاع من الأصل مع ما ضاع منه هنا، وكتبه محرره محمد محمود لطف الله تعالى به آمين. اهـ»

بعد التأمل فى هذا التعليق وجدنا مصحّح المخصص ومحرره لم تكشف له عبارة الأصل فجعلها قولين، وهى قول أو بيت من الشعر واحد، ولذا لم يدر هل القول الأول (وكنا ما اعتفت) شعر أم نثر مع أن ابن سيده ذكر قبله كلمة (وأنشد)، ثم جعل القول الثانى (طلاب الترات مطلب) بعض بيت للخنساء، مع أنها خاتمة أبيات جاهلية كثيرة، وأخطأ فى الشاهد إذ جعله (براقش) وهو (الاغتفاف) أى تناول الغُفّة من العلف، وهى الشىء اليسير منه؛ والعبارة الأصلية الواردة قبل البيت لا يوقف عليها إلا بنسخة ثانية كاملة من المخصص، ولعل التعبير التالى لا يبعد عنها كثيراً، وقد ألّفته بعد مراجعة نصوص اللسان والتاج وهو: [وإذا كان الربيع[1] (مقارباً قيل اغتفّ المالُ اغتفافاً أى أصاب غفة منه) أى شيئاً يسيراً وأنشد:

وكنا إذا ما اغتفّتِ الخيل غُفّة

تجرّدَ طلابُ التراتِ مُطلّبُ]

وهذا هو البيت عينه الذى استشهد به ابن سيده، وهو

(١) ما بين القوسين تمام العبارة النثرية، أما بيت الشعر فبمراجعة نصه فى المخصص تعلم الزيادة

لطفيل الغنوي لا للخنساء ، وإنما استشهد به للاغتفاف لا لبراقش كما فعل مثل ذلك صاحبا اللسان والتاج في مادتي (غفف وأغتف) ؛ وهو في ديوان طفيل الغنوي ص ٢٦ ، ونسبه إليه صاحب الأمالي (٢ / ٣٤) ، وذكره الزمخشري في أساسه (غفف) وعزاه إلى طفيل أيضاً ، وآخره (يُطلَّب) بدل (مطلَّب) ولعله تصحيف أو رواية أخرى ، واستشهد به صاحب تهذيب إصلاح المنطق (ص ٧١) وغيره من أئمة اللغة ، فليست القضية إذن من الشكائك الجدلية[1] ، ولولا ما في مخطوطة المخصص من التصحيف والنقص لما وقع كما بيّنت إمامنا الشنقيطي في مثل هذا السهو اللغوي ، وسجدة السهو واجبة في العلم والدين معاً ، وقد سجدتها بهذا التصحيح عنه ، وعسى أن يسجدها مني أيضاً من يصحح من المخصص نسخته ، ويغتفر للانسان الضعيف زلته .

(دمشق) التنوخي

الى الدكتور زكي

بدا لي أن ألفت نظرك إلى خطأ لا أشك في أنك وقعت فيه في كلمتك التي جعلتها افتتاحية للرسالة في العدد الماضي ، وهو قولك : (والحس والروح جارحتان من أعظم الجوارح الإنسانية) ! وأنا وأنت والناس جميعاً يعرفون أن الحس والروح ليسا من الجوارح كما تقول ! ! فهل تتفضل بأن تدلنا من أين جئت بهذا ؟

(ع . ع)

كلمة منصفة

كتب الأستاذ محمد متولي مقالاً في العدد ٣٧٦ من الرسالة الغراء عرض فيه لحديث السرقات الذي جرى على قلم كل من الأستاذين علي محمود طه وزكي طليمات . فسماه عراكا في غير معترك ، أو « خناقة على اللحاف » ، لأن الفن كما يقول « صورة » وليس « فكرة » . والحق أن الفن ليس فكرة فحسب ولا صورة فقط ، ولكنه مجموع الأمرين ، أو هو « فكرة مصورة » ؛ وليست الفكرة من الأشياء المجردة التي تكون بعينها في جميع العقول والأفهام ؛ لأنها قد تكون فكرة خاصة لنفس خاصة ممتازة ، وقد تكون شائعة في بعض النفوس ، ولكنها حتى في هذه الحالة لا يمكن أن تكون على درجة واحدة من القوة أو العمق أو الاتساع ، وهل يمكن أن تتشابه النفوس جميعاً إلى هذا الحد الذي تصبح فيه قوالب مصبوبة على هيئة واحدة من مادة واحدة ؟ وهل يمكن أن تكون الأفكار التي جالت في ذهن شكسبير ، مثلاً ، هي بعينها الأفكار التي جالت في ذهن رجل الشارع ، ولكن هذا الأخير لم يتح له أن يعبر عنها كما أتيح لشكسبير ؟ على أن هذه النظرية ليست من المستحدثات كما يخيل إلينا الأستاذ متولي ؛ وإنما هي في لبابها لا تخرج عن قول بعض الأقدمين : إن الشعر هو الأسلوب ، وإن المعاني على « قوارع الطريق » وهي نظرية كانت منذ بعيد

ويقول الأستاذ متولي بعد ذلك : « إن الأستاذ علي محمود طه رجل فنان بلا شك ، لأنه قال «الجندول» فكان « كذوباً » ! إنه يمثل ذلك الفنان الذي يشعر بالشيء ولا يستطيعه ، فيتغنى به وهو نفسه يعلم أنه لم يركب تلك « الجندول » التي أرانا إياها في عرض القناة في ذلك الجو الساحر في فينيسيا » فهل يكون الأستاذ علي محمود (كذوباً) إذا صح أنه مثل ذلك الفنان الذي يشعر بالشيء ولا يستطيعه فيتغنى به ؟ كلا ! إنه يكون صادقاً كل الصدق ، لأنه يصور لنا حالة نفسية من حالات نفسه الممتازة التي تحلم وتتمنى ، وهل يكون الذي يحلم في نومه برغبات نفسه المكبوتة كاذباً ، على أن أستاذنا «الزيات» قد قال كلمته النبيلة ، وإذن فقد « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . نعرض بعد ذلك لزعم الأستاذ متولي في أول مقاله إن الناقد الأديب هو نفس الأستاذ علي محمود طه وأنه إنما نقد مسرحية بشر فارس تشفياً منه . فنقول له كيف اكتشف هـذا الاكتشاف ؟ إننا نعرف أن اسم « الناقد الأديب » لا يعرفه إلا الناقد الأديب نفسه ، والأستاذ الزيات ، فمن أيهما عرف الأستاذ اسم الناقد الأديب ؟ أمن الناقد الأديب نفسه ، أم من الأستاذ الزيات — وهذا مستحيل — الحق أنه لا هذا ولا ذاك ، ولكن الأستاذ متولي أراد أن « يمثل دور » البوليس السري في هذه القضية الأدبية

أما بعد فقد قرأنا حديث السرقة في شعر الأستاذ علي محمود فابتسمنا لصاحبه ابتسامة الرثاء والإشفاق ، ثم قرأنا المقال الذي ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه من قبله العذاب ، فابتسمنا لصاحبه ابتسامة الرثاء والإشفاق أيضاً ؛ وإنا أنصح لهؤلاء السادة أن يحاولوا بلوغ شأو الأستاذ علي محمود طه من طريق غير هذا الطريق . أما هـذه المناورات التي يقومون بها على اختلاف أساليبها ، وتعدد صورها ، فقد انتهت ـ والحمد لله ـ إلى الفشل والإخفاق ، وبقي الأستاذ علي محمود طه عند جمهرة الأدباء « شاعر الحب والجمال » ، بلا جدال

ابراهيم محمد نجا

(١) من تعابير ابن سيده .



ثمن الأمومة

للأستاذ محمد سعيد العريان

في الطابق الرابع من الدار القائمة على حدود الصحراء من ضاحية حلوان ، كانت تعيش « سنية » وحيدة : لا أم ولا أب ، ولا زوج ولا ولد . لقد فارقها أبوها ولم تزل طفلة بعد ، إلى حيث لا يرجع مَن يمضي ؛ وفارقت هي أمها العجوز وأخاها ، إلى حيث فرضتْ عليها « الوظيفة » أن تعيش غريبة منقطعة لتجد ما تعيش به.

وما كان المرتب المحدود الذي تمنحها « وزارة المعارف » في كل شهر ليُسعد فتاة في مثل سنها ، ولكنها كانت به راضية سعيدة . وقد استطاعت على امتداد الزمن أن تزيد دخلها بضعة جنيهات في كل شهر ، مما تحصل عليه من أجرة الإشراف على بعض تلميذاتها في دراستهن المنزلية ؛ فتهيأ لها بذلك أن تنظم ميزانيتها الصغيرة تنظيما يكفل لها أن تستمر على إعانة أمها العجوز بما ترسل إليها في كل شهر ، وأن تدّخر لنفسها شيئاً إلى شيء ، ارتقاباً ليوم تأمله ...

* * *

منذ بضع سنوات لم تغيّر سنيةُ شيئاً من نظام حياتها ولم تحاول ؛ هذا منزلها الذي تسكنه منذ هبطت المدينة ، لم يتبدّل شيء منه ولم يتبدّل شيء منها ؛ هنا الغرفة التي تأوي إليها إذا جنّ الليل ؛ وهنا المثوى الذي أعدته لاستقبال من يزورها فلم يطرقه زائر قط منذ كان ؛ وهنا الشرفة التي ترتفق إليها بذراعيها كل مساء ساعة أو ساعات قبل أن تنام ، تسرّح النظر في الفضاء الشارق في ضوء القمر ، أو تنقّل الطرف بين النوافذ المضيئة قانعة في وحدتها الموحشة من سعادة الاجتماع بأنس النظر ! ... وهناك ، على مد البصر ، طفل يقفز ويثب ؛ هذا هو حيث تراه كل مساء في مجلسها من الشرفة ، جالساً بين أبويه أو عابثاً لاهياً يتوثب ؛ إن بينها وبينه لسبباً قوياً ؛ إنها لتحبه كأنها ولدته ، وإنها لتفتقده إذا غاب كأنها بعض أهله ، وإنها لتتحدث إليه على البعد كأنه منها بمرأى ومسمع ... ذلك صديقها الوحيد في بلد لم تأنس فيه إلى صديق ؛ أتراه يعرفها ويعرف أين هو من نفسها ؟ ... أما هي فتعرفه عرفانَ الأخ والولد ؛ وتعرف تاريخه وماضيه منذ كان وقبل أن يكون ... ...

من هذه الشرفة العالية التي يكتنفها الظلام ، أبصرتْ أمّه عَروساً في جَلوتها ، وأبصرت أباه ؛ ومن هذه الشرفة نفسها رأته جنيناً في بطن أمّه تخيط له قُمصه ولفائفه ؛ ومن هذه الشرفة جاءها البشير بمولده والناس نيام ؛ ثم أبصرته ذات صباح طفلاً يحبو ؛ ورأته من بعدُ غلاماً يقفز ويثب ... ولكنه هو لم يعرفها بعد ...

* * *

هذه حياة سنية : أما نهارها فجهاد ودأب بلا ونى ، تغادر بيتها في الصباح الباكر إلى مدرستها ، وتغادر مدرستها إلى بيوت تلميذاتها ، فإذا جن الليل عادت ؛ وأما ليلها فهذه الشرفة وهذا الفضاء وهذا الغلام ؛ فإذا أوى الغلام إلى فراشه ، واختفى القمر وراء السحاب ، وأسدلت الستائر على النوافذ المضيئة – نهضت سنية من مجلسها في الشرفة ، فتفتح صندوقها وتحصى ما فيه ثم تأوي إلى أحلامها

ومضت بضع سنين قبل أن يجتمع في صندوق سنية ما كانت تؤمّل أن يجتمع ؛ وأيقنت – بعد صبر طويل – أنها من اليوم الذي كانت ترقب على مقربة ...

* * *

... وغربت الشمس ذات مساء ولم تعد سنية إلى دارها ؛ ثم عادت بعد العشية ، واتخذت مجلسها من الشرفة ومسرح النظر ، ولم يكن الطفل ثمة ولكنها لم تفتقده في غيبته ؛ وأوت إلى فراشها ولكنها لم تنم حتى انتصف الليل ؛ وتراءى لها الطفل في منامها وكان معه أبوه ، ثم أصبحت ...

وراحت تُعد عدة السفر إلى أمها تطالب مشورتها في أمر ذي بال ...

وابتسمت أمها فرحانة، ثم غشيتها كآبة وهتف بها هاتف؛ ثم عادت فابتسمت ونهضت إلى مصلاها تناجي ربها وتدعوه لابنتها العزيزة أن يتم لها ما تأمل ...

* * *

وتغيّرت سنية منذ اليوم وتبدّلت وحشتها أنساً ومسرة، وهجرت الشرفة فلم تكن تغشاها إلا حين تكون على موعد ترقب له الطريق؛ وأنِست غرفةُ الاستقبال بعد وحشة وطرقها الزائرُ المنتظَر منذ سنين، وتعددت زيارته؛ وقالت له سنية ذات مساء وقد جلسا جنباً إلى جنب في الشرفة العالية التي يكتنفها الظلام وأشارتْ إلى بعيد — : أنظر يا رشاد؛ إنه طفل ظريف!

ونظر «رشادُ» حيث أشارت سنية، وقال: نعم، وأظرف منه أن تكوني أمَّه!

وطأطأت الفتاة رأسها وتضرّجتْ وجنتاها وسبحت في حلم لذيذ، وتراءى لها غلام يقفز ويثب بين أبيه وأمه، في مثل مجلسهما من هذه الشرفة العالية التي يكتنفها الظلام!

* * *

وجلست سنية ورشاد يتبادلان الرأى ذات مساء؛ وقال لها:

... وإني لأخشى ألا توافق الحكومة على بقائك في العمل بعد الزواج؛ لتكوني لي وحدي!

وقالت: ولكن أمي يا رشاد ...!

وأجابها: وعليَّ أن تكون أمك راضية سعيدة!

واطمأنت سنية وسُرّي عنها ما كان يقلقها منذ أيام؛ وجلست إلى مكتبها تكتب إلى الحكومة تلتمس الإذن في الزواج ولم يطل بهما الانتظار، ولم يقلقهما جواب الحكومة؛ فقد كانت سنية متوقعة من قبل ألا يؤذَن لها؛ وكانت مطمئنة إلى وعد خطيبها بأن يرضى أمها!

وراح الفتى والفتاة يعدان المدة ليوم قريب

* * *

وانتقلت سنية إلى بيت زوجها، وشهدها صواحبها عروساً في جلوتها، وشهدت نفسها؛ وكانت النوافذ الضيقة ترى أشعتها إلى بعيد؛ وكان في الشرفات العالية التي يكتنفها الظلام عيون تنظر ....

... ومضت أشهر، ونظر الجيران فإذا سنية جالسة إلى جانب النافذة تخيط قمصاناً ولفائف؛ وفي هدأة الليل والناس نيام حل على الأسرة ضيف جديد، وارتفع صوته يعلن البشرى بمقدمه ...

... ...

* * *

ثم استيقظت سنية من الحلم الذي ضرب على آذانها عاماً وبعض عام؛ ونظرت، فإذا هي وطفلها وحطامٌ من الذكريات؛ ولم يكن الرجل ثمة ولم يكن الصندوق ... !

وقبّلتْ فتاها في جبينه وقالت وفي عينيها دموع: لا عليك يا بنيَّ؛ لقد خسرتُ الرجلَ ولكني كسبتكَ؛ فليذهب أبوك حيث يشاء، ولتبق لي أنت!

وخرجت تلتمس الرزق، واتخذت طريقها إلى المدرسة، ولكن المدرسة كانت قد أغلقت أبوابها!

وسَعَت إلى رئيس الديوان تلتمس الشفعاء إليه ليردّها إلى عملها، فأغلق دونها بابه؛ ووقفت في مفترق الطريقين تنظر، ثم سلكت إحداها ...

* * *

وعاد الرئيس من الديوان إلى داره، وانفتح باب السيارة ونزل، وسبقته إلى الباب امرأة؛ وهمَّ حاجبه أن يمنعها ثم كف

وهتفت المرأة في ضراعة: سيدي بحقِّ ولدك ...!

قال: ولكنك خُيِّرْتِ من قبل فاخترتِ أن تكوني أمّاً؛ فهيهات ...

ورَقَّت المرأة وصرخت في غيظ: ولكنك أنت رضيتَ أن تكون أباً ... فلِمَ لا خُيِّرْتَ أنت؟ ... كن أباً، أو كن رئيساً في الديوان، إن صحَّ ألا يجتمعا ...!

وسكت الرجل وهتف هاتفٌ من وراء حجاب: «ولكن ثمن الأمومة أغلى ...!»

* * *

... ودخل (الرجل) داره وأغلق بابه ليجلس بين زوجه وولده فيقص قصته؛ ومضت (المرأة) على وجهها بائسة ذليلة، لتدفع وحدها ثمن الأمومة الغالي!

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾